

من التراث العربي شاعرات من الأندلس

- 2 -

د. محمد الشريف قاهر
جامعة الجزائر

1. الجارية العجفاء: (1)

من النساء الداخلات إلى الأندلس، الجارية العجفاء. كانت نحيلة ضعيفة، دميمة الحلقة، غير أنها خفيفة الروح، مرهفة الإحساس، تقول الشعر. وتحيد الغناء، ملكت النفوس بصوتها ورقة شعرها، مالکها هو مسلم بن يحيى مولى بني زهرة فقير. لا يملك من الدنيا إلا بيتا صغيرا، وإن شئت قلت: كوخا حقيرا، يعيش فيه مع جاريته العجفاء. لنستمع إلى ما ينقله المقرئ في نفحه عن الأرقمي غرير بن طلحة عنها.

قال الأرقمي: قال لي أبو السائب - وكان من أهل الفضل والنسك - هل لك في أحسن الناس غناء؟ فجئنا إلى دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة، فأذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا في مثلها، وطوله في السماء ستة عشرة ذراعا، وفي البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحم، وبقي السدى، وقد حشيتا بالليف، وكرسیان قد تفككا من قدمهما، ثم اطلعت علينا عجفاء كلفاء عليها هروي أصفر غسيل... فقلت لأبي السائب: بأبي أنت! ما هذه؟ فقال اسكت، فتناولت عودا فغنت:

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهم (2)
 همٌ من أجلك ليس يكشفه إلا ملك جائز الحكم
 فاستيقني أني كلفت بكم ثم افعلي ما شئت عن علم (3)
 قد كان صرم في الممات لنا فعجلت قبل الموت بالصّرم (4)
 قال: فتحسّنت في عيني، وبدا ما أذهب الكلف عنها، وزحف أبو
 السائب وزحفت معه، ثم غنت:

برح الخفاء فأيما بك تكتم ولسوف يظهر ما تُسرّ فيعلم
 مما تضمن من غريرة قلبه يا قلب إنك بالحسان لمغرم
 يا ليت أنك يا حسام بأرضنا تلقى المراسي طائعا وتخيم
 فتذوق لذة عيشنا ونعيمه ونكون إخوانا فماذا تنقم
 فقال أبو السائب: إن نقم هذا فأعضه الله تعالى....، فزحفت مع أبي
 السائب حتى فارقنا النمرقتين، وربت العجفاء في عيني كما يربو السوق
 بماء مزنة، ثم غنت:

يا طول ليلي أعالج السقما إذا حل كل الأحبة الحرما
 ما كنت أخشى فراقكم أبدا فاليوم أمسى فراقكم عزما
 وقال أبو السائب للعجفاء: لقد هجت لي داء قديما، وكنا نختلف إليها،
 حتى اشتراها الأمير عبد الرحمن الداخل، وحملت إليه.

2. حسانة التميمية (5)

حسانة بنت أبي الخشعي عاصم بن زيد، أحد قدامى الشعراء
 بالأندلس، تنتمي إلى قبيلة تميم العربية المعروفة، ولدت في أواخر المائة

الثانية، تعلمت الأدب والشعر على والدها الذي كان شاعرا، فقد مدح الأمير الأموي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (180 - 206) فنال إعجابه، وأجازته، حتى إذا توفي والدها وهي لا تزال بكرا، لم تتزوج بعد، نراها تتجه إلى ممدوح أبيها الحكم، وتمدحه بشعر جزل متين، فيقع شعرها من الأمير موقعا حسنا، ورغم ما كان معروفا من القسوة والغلظة، ولكنه كان يطرب للشعر، ويخضع لسلطان الهوى والفن، إذ كان هو بدوره شاعرا. والقصيدة التي تأثر بها الحكم وأجازها عليها لم يبق منها إلا بعض أبيات هي :

إني إليك أبا العاصي موجعة	أبا الخشي سقته الواكف الدِّيمُ
قد كنت أرتعُ في نِعْماء عاكفةً	فاليوم أوي إلى نعماك يا حَكَم
أنت الإمام الذي انقاد الأنام له	وملكته مقاليد النهي الأُمم
لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفا	أوي إليه ولا يعروني العَدَم
لا زلت بالعزة القعساء مرتديا	حتى تذُل إليك العربُ والعَجَم

فهذه المقطوعة كما نرى واضحة المعنى، منسقة الألفاظ، قوية الجرس الموسيقي، متسمة بعمق الشكوى التي تمس شغاف القلوب، فقد استطاعت أن تغزو قلب الحكم القاسي، وتلينه لها، وتفتح أذنيه إلى شكواها، وقد ضربت له على الوتر الحساس، فالأمويون بالأندلس كانوا يحنون دائما إلى مجدهم الأفل بالشرق، ويحلمون بالعودة إلى عاصمة خلافتهم - دمشق - فاقراً إن شئت للمرة الثانية البيتين الثالث والأخير:

أنت الإمام الذي انقاد الأنام له	وملكته مقاليد النهي الأُمم
لا زلت بالعزة القعساء مرتديا	حتى تذُل إليك العرب والعجم

ونرى أبا العاصي يستحسن الشعر، ويعجب به، فيأمر لها بإجراء مرتب منظم، ويكتب إلى عامله بإقليم البيرة - غرناطة - حالياً، يأمره بالإحسان إليها، والاهتمام بأمرها، والرعاية لمصالحها. فتعود الشاعرة حسانة إلى مسقط رأسها البيرة، وقد نالت مرادها، وحملت معها هدايا ثمينة وعطاء عظيمًا، وتقديراً وشرفاً.

حتى إذا مات الحكم، وتولى الحكم بعده ابنه عبد الرحمن الأوسط (206 - 238) نرى حسانة تشد الرحال إلى قرطبة من جديد، وتلتجئ إلى الأمير الجديد، وتستغيث به مما نالها من جور والي «البيرة» جابر بن ليبيد، الذي أوقف لها ذلك المرتب، التي كانت تأخذه في عهد الحكم، فقد استطاعت الشاعرة أن تصل إلى قلب عبد الرحمن بن الحكم بسهولة، وتؤثر فيه، فتمدحه بقصيدة فاهتز لشعرها، واستمع لندائها، وشكواها، فغضب على الوالي، وعزله عن الولاية، وأكرم الشاعرة أيما إكرام. وأقر لها جميع ما كانت تتمتع به في حياة والده الراحل.

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي	على شحط ⁽⁶⁾ تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي إنه خير جابر	ويعني من ذي الظلامة جابر
فرنسي وأيتامي بقبضة كفه	كذي ريش أضحي في مخالب كاسر
جديرٌ لمثلني أن يقال مروة	لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاءه الحيا لو كان حياً لما اعتدى	عليّ رمانٌ باطشٌ بطشٌ قادر
أيمحو الذي خطته يمينه جابر	لقد سام بالأملك إحدى الكبائر

ولما أكملت الشاعرة إنشاد قصيدتها، رفعت إلى الأمير خطاً والده وحكت له جميع ما أصابها، بعد ثكلها، وأنها وأيتامها في حالة ضيق

وعسر شديدين، فرق لها الأمير، وأخذ منها خط أبيه، فقبل الصك، ووضعها على عينيه، وقال: «تعدى ابن لبيد طوره، حين رام نقض رأي الحكم، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده، ونحفظ بعد موته عهده، انصرفي يا حسانة، فقد عزلته لك، ووقع لها بمثل توقيع أبيه، فقبلت يده، وأمر لها بجائزة، فانصرفت تجرّ معها الهدايا، وتغمرها البشري، فلما وصلت إلى بلدها «البيرة» بعثت إلى الأمير بقصيدة فيها الشكر والمدح والثناء جاء فيها:

ابن الهشامين خير الناس مأثرةً	وخير منتجع يوماً للرؤاد
إن هز يوم الوغى أثناء سعده	روى أنابها من صرف فرصاد (7)
قل للإمام أيا خير الورى نسبا	مقابلا بين آباء وأجداد
جودت (8) طبعي ولم ترض الظلّامة لي	فهاك فضل ثناء رائح غاد
فإن أقمْتُ فني نِعْماك عاطفة	وإن رحلتُ فقد زودتني زادي

وإذا خطونا خطوة أخرى نحو القرن الثالث الهجري وجدنا أول من يعترض طريقنا هي الشاعرة

3. قمر الإشبيلية: (9)

من الجوّاري والقنّيات الوافدات من المشرق العربي، من الحجاز مكة والمدينة، والعراق، بغداد والبصرة والكوفة: فضل وعلم وقلم وقمر، وهذه الأخيرة سيدها هو إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب إشبيلية (ت: 288 هـ)، جلبت إليه من بغداد. عاصمة الخلافة العباسية. وصفها المقري في نفخه بقوله:

«وكانت من أهل الفصاحة والبيان، والمعرفة بصوغ الألفان... جمعت

أدبا وطرفا، رواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع، وكانت تقول الشعر بفضل أدبها» وكان الشعر يجري على لسانها سجية وطبعا بلا تكلف ولا تصنع.

قالت تمدح سيدها إبراهيم بن حجاج حاكم إشبيلية في القرن الثالث الهجري:

ما في المغرب من كريم يرتجى إلا حليف الجود إبراهيم
إني حللت لديه منزل نعمة كل المنازل ما عداه سقيم
ورغم مانالت قمر الإشبيلية من الراحة واللذة والنعيم، وما لقيت من
مالكها من عناية وحب وتكريم. فإننا نجدها تحن إلى بلاد الرافدين، دجلة
والفرات، وإلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم من منزل في الأرض يألفه الفتى وحينه دائما لأول منزل
فقال قمر، وهي تتذكر بغداد ونهر الفرات، وبلاد العراق وزميلاتها
الأدبيات الشاعرات العفيفات الساحرات، عبرت عن كل ذلك بشعر
رقيق أخاذ، ينساب رقيقا انسياب النسيم على صفحات نهر الفرات في
البكور والأصال:

أها على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كأنما خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفسى الفداء لها بأي محاسن في الدهر تشرق من سنا إشراقها

4- مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري: (10)

هذه الشاعرة عاشت في مدينة إشبيلية الفاتنة، المدينة المعروفة بالخلاعة والمجون، ولكنها لم تؤثر في أخلاقها، فقد عاشت مريم متدينة عفيفة، ذات أخلاق فاضلة، وسيرة حسنة ممتازة. وتعرف بـ مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي الشلبي، الحاجة.

ولعل السبب في ذلك أنها غريبة عن إشبيلية، إذ أصلها يعود إلى مدينة «شلب» في غرب الأندلس، وإنما سكنت بإشبيلية بعد أن تكوّنت وثققت في بلدها، المعروف بالوقار، والحشمة. والذكاء والفطنة.

وكانت مريم معلمة، وأستاذة البنات، على عادة أهل الأندلس في تكليف النساء بتعليم بناتهن، وتتفق الروايات على أنها عالمة، وأديبة، وشاعرة، ومعلمة ناجحة، وأن لها مدائح في الأمير الأموي عبيد الله بن محمد المهدي، والذي كان معجبا بها وبعلمها، وشعرها. وأخلاقها، فكان يُجيزها من ماله، ويساجلها بشعره، الذي نلمس فيه الاحترام والإعجاب بها، فقد بعث إليها يوما بهدية، ودنانير وشعر يقول فيه:

مالي بشكر الذي أوليت من قِبَلِ لو أنني حزت نطق اللّسن في الحُلل
يا فذة (11) الظرف في هذا الزمن وبا وحيدة العصر في الأخلاق والعمل
أشبهت مريما العذراء في ورع وفقت خنساء في الأشعار والمثل

فأجابته مريم بقصيدة من نفس البحر والقافية، تمدحه وتشكره، وتعز بهديته، وتفخر بها على بنات جنسها، كعادة النساء في كل زمان ومكان:

من ذا يجاريك في قول وفي عمل وقد دبرت إلى فضل ولم تُسل

مالي بشكر الذي نظمت في عنقي من الآلى وما أوليت من قبلي
 حليتني بحلى أصبحت زاهية بها على كل أنثى من حلى عطل
 لله أخلاقك الغر التي سقيت ماء الفرات فرقت رقة الغزل
 أشبهت مروان من غارت بدائعه وأنجذت وغذت من أحسن المثل (12)
 من كان والدُه العضب المهند لم يلد من النسل غير البيض والأسل
 ويروي الحميدي في جذوته، والضبي في بغيته أن أصبح بن سيد
 الإشبيلي ذكر أن الذي بعث إلى مريم بالهدية والشعر إنما هو ابن المهند
 الشاعر المشهور، والذي أبوه طاهر بن محمد المعروف بالمهند البغدادي،
 وكان أدبياً وشاعراً متقدماً، من شعراء الدولة العامرية، ولعل ما يؤيد هذا
 البيت الأخير من مقطوعتها التي تشير إلى اسم والد الشاعر: من كان
 والده العضب المهند.

وقد عمرت مريم عمراً طويلاً، إذ عاشت أكثر من سبع وسبعين سنة،
 ولذلك نراها تشكو من الكبر وهمومه، ومن الزمان وأتعبه، فتقول:
 وما يرتجى من بنت سبعين حجة وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
 تدب دبيب الطفل تسعى إلى العصا وتمشي بهامشي الأسير المكبل

الغسانية البجانية: (13)

هذه الشاعرة تنسب إلى مدينة بجانة، وهي كورة عظيمة تابعة لإقليم
 المرية، وقد عاشت الغسانية في عصر ملوك الطوائف، المشهور بالازدهار
 العلمي والأدبي، بقدر ما هو معروف بالانهيار الأخلاقي والتفكك

السياسي، والصراع بين الحكام والقادة على السلطة والنفوذ، على حساب الصالح العام للأمة والشعب، فقد أصبحت الأندلس ممزقة الأوصال، مقسّمة إلى دويلات، وإمارات، في كل مقاطعة أمير، وعلى كل ولاية حاكم مستبد، كل يدّعي لنفسه الملك والسلطة.

وقد عبّر الوزير الشاعر ابن عمار بصدق، عن الحالة التي تحياها الأندلس العليلة عندما قال:

مما يُزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتد
ألقابُ مملكة في غير موضعها كالهَرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد
والذي وصل إلينا من شعر البجانية، قليل جدا، وهو يتّسم بالأصالة والعمق، وينبئ بأنها متمكنة من اللغة، وأساليبها، فهذه الأبيات المقتطفة من قصيدة طويلة حسبما يقول الرواة، مدحت بها حاكم المرية، خيران العامري، أحد ملوك الطوائف، وقد عارضت بها الشاعر الفحل أبا عمر أحمد بن درّاج (347 - 421) المعروف، في قصيدته التي مدح بها صاحب نعمته، خيران العامري، والتي مطلعها:

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران وبُشراك قد آواك عزّ وسُلطان
فقال الغسانية في الموضوع والوزن والقافية:

أنجزع أن قالوا سترحل (14) أظغان وكيف تطيق الصبر ويحك إن بانوا
وما هو إلا الموت عند رحيلهم وإلا فعيش تجتنى منه أحزان (15)
عهدتهم والعيش في ظل وصلهم أنيق، وروض الدهر أزهر ريان (16)
ليالي سعد لا يخاف على الهوى عتابٌ ولا يخشى على الوصل هجران

ويسطو بنا لهو فنعنتق المنى كما اعتنقت في سطوة الريح أفنان
ألا ليت (17) شعري والفراق يكون هل تكونون لي بعد الفراق كما كانوا

صفية بنت عبد الله الري: (18)

عاشت هذه الأديبة اللطيفة في أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة من الهجرة النبوية، وكانت شاعرة رقيقة العواطف، جميلة الخط، حسنة المنظر والخبر، لم تنعم بشبابها كاملاً، ولم تتمتع بطول العمر، فقد احتفظت المنية وهي في ريعان شبابها ودون الثلاثين من عمرها، وكانت وفاتها في آخر سنة سبع عشرة وأربعمائة.

ذكر أبو عبد الله بن سعيد بن جريح، أن امرأة من بنات جنسها، عابت خطها، واستنقصت من جماله، ووضوحه، فقالت صفية الشاعرة:

وعائبة خطي فقلت لها أقصري فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها وقربت أقلامي ورقي ومحبري
فخطت بأبيات ثلاث نظمته ليدو لها خطي وقلت لها أنظري
أرايتهم هذه الخلاعة؟ وهذا الفحش البذيء؟ فإذا جاز للرجل أن
يقول هذا الكلام فلا يحسن بالمرأة التي رأس مالها الاحتشام، ونصف
جمالها الحياء والخجل، أن يفوه به لسانها أو يخطها يمينها.

ومن شعرها القليل الذي وصل إلينا:

لئن حمى (19) عن ثغرها كل حائم فما زال يحمى عن مطالبه الثغر
فذلك تحميه القواضب والقنا وهذا حماءه من لواظها السحر

أنس القلوب القرطبية: (20)

جارية المنصور ابن أبي عامر محمد بن عبد الله المعافري أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي (ت: 392 هـ - 1002م) كانت من رقة الشعر وحذق الغناء في مكان رفيع، ولعل الخبر الآتي يعطينا صورة كاملة على مكانتها في الغناء، وحسن التخلص، وطرق الاعتذار، وسرعة البديهة واستعمال أسلوب التأثير والإثارة والتذكير.

حدث الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم قال: نادمت يوما المنصور ابن أبي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير، وهي جامعة بين روضة وغدير، فلما تضح النهار بزعفران العشي، ورفرف غراب الليل الدجوجي، وأسبل الليل جنحه، وتقلد السماك رمحه، وهم النسر بالطيران، وعام في الأفق زورق الزبرقان (21)، أو قدنا مصابيح الراح، واشتملنا ملاء الارتياح وللدجن فوقنا رواق مضروب. فغنتنا عند ذلك جارية تسمى «أنس القلوب» وقالت:

قدم الليل عند سير النهار	وبدا البدر مثل نصف السوار
فكأن النهار صفحة خد	وكأن الظلام خد عذار
وكأن الكؤوس جامدة ماء	وكأن المدام ذائب نار
نظري قد جنى علي ذنوبا	كيف بما جنته عيني اعتذاري؟
يا لقومي تعجبوا من غزال	جائر في محبتي وهو جاري
ليت لو كان لي إليه سبيل	فأقضي من الهوى أوطاري

قال الوزير أبو المغيرة: فلما أكملت الغناء، أحسست بالمعنى فقلت:

كيف كيف الوصول إلى الأعمار بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق لطلبنا الحياة منك بشار
وإذا ما الكرام هموا بشيء خاطروا بالنفوس في الأخطار

قال: فعند ذلك بادر المنصور لحسامه وغلظ في كلامه، وقال لها: إلى ما تشيرين بهذا الشوق والحنين؟ ، فقالت الجارية - أنس القلوب -: إن كان الكذب أنجي، فالصدق أخرى وأولى ، والله ما كانت إلا نظرة ولدت في القلب فكرة، فتكلم الحب على لساني، وبرح الشوق بكتماني، والعفو مضمون لديك عند المقدرة، والصفح معلوم منك عند المعذرة، ثم بكت فكأن دمعها در تناثر من عقد، أو طل تساقط من ورد، وأنشدت:

أذنبت ذنبا عظيما فكيف منه اعتذاري؟
والله قدر هذا ولم يكن باختياري
والعفو أحسن شيء يكون عند اقتداري

قال أبو المغيرة بن حزم: فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب إلي، وسل سيف السخط علي، فقلت: أيدك الله تعالى! إنما كانت هفوة جرّها الفكر، وصبوة أيدها النظر، وليس للمرء إلا ما قدر له، لا ما اختاره وأمله، فأطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح، وتجاوز عنا وسمح، وخلي سبيلي، فسكن وجب قلبي وغليلي، ووهب الجارية لي، فبتنا بأنعم ليلة، سحبنا فيها للصبا ذيله، فلما شمر الليل غدائره، وسل الصباح بواتره، وتجاوبت الأطيّار بضروب الألحان، في أعالي الأغصان، انصرفت بالجارية إلى منزلي، وتكامل سروري.

10. حمدة بنت زياد المؤدب : (22) (ت نحو 600) .

ولدت حمدة أو حمدونة على اختلاف بين الرواة بنت زياد المؤدب، وعاشت على واد جميل أخاذ يقال له وادي آش، يقع قرب غرناطة المدينة التي تحوطها البساتين والأشجار، وتحف بها الأزهار كما تحف الأهداب بالعيون، فيها جمال وروعة، وفيها سحر وجمال، ومدينة حمدة تابعة لها، ومكملة لعظمتها وأناقته.

ويصفها ابن سعيد مع أختها زينب بأنهما «شاعرتان أدبيتان، من أهل الجمال، والمال، والمعارف، والصون، على أن حب الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله، مع صيانة مشهورة، ونزاهة موثوق بها».

ويذكر ابن سعيد بأن والده قال في حمدة: «هي شاعرة الأندلس» على أيامها، كما ينعتها عمّة: بأنها خنساء المغرب، لقوة شعرها، وصدق عاطفتها، وحرارة أسلوبها، وهي صاحبة المقطوعة التي نالت إعجاب الأدباء، وتقديرهم على مر العصور والأيام، وذلك لما تشتمل عليها من سحر البيان، وروعة التشبيه، وجمال التصوي، وبلاغة المعنى وحسن الخيال، وقوة السبك.

والمقطوعة هي :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ	سقاه مُضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه غحنا علينا	حنو المرضعات على الفطيم
وأرشقنا على ظمأ زلالا	ألذ من المدامة للنديم
يصدّ الشمس أني واجهتنا	فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه خالية العذارى	فتلمس جانب العقد التنظيم

وقد أخذ بعض النقاد على الشاعرة استعمال كلمة «المرضعات»، وكان الأفضل لها تعويضها بالأمهات، لأن المرضعة قد تكون أمًا وقد تكون غيرها.

ويبدو أن المؤرخ المشرقي «ابن العديم» صاحب كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» قد استكثر على الشاعرة الأندلسية أن تقول مثل هذا الشعر الجميل، فقال: إن الأبيات للشاعر المشرقي المنازي، مما جعل أبا جعفر الأندلسي الغرناطي نزيل حلب، يتصدى للرد على ابن العديم فيقول: «إن هذه الأبيات نسبها أهل هذه البلاد - المشرق - للمنازي من شعرائهم، وركبوا التعصّب في جادة ادّعائهم، وهي أبيات لم يخلبها غير لسانها، ولا رقم بريدها غير إحسانها.

ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا، بالأندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود، ويتصف بلفظة الموجود. (23).

فإذا ضن بعض الأدباء على شاعرتنا أن تجود قريحتها بمثل الأبيات السابقة، فماذا يقولون في المقطوعة التالية؟ وهي لا تقل روعة وجمالاً من الأولى. هذه المقطوعة التي تصف فيها الشاعرة الفاتنة المفتونة، خروجها مع صبية المدينة إلى السباحة والاستحمام، في وادي شنيل بغرناطة. وفي المغرب: خرجت - حمدة - إلى وادي مدينة آش، مع جواراً، فسبحت معهن، وكان لها منهن هوى⁽²⁴⁾. فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت :

أباح الدمعُ أسراري بوادي له للحسن آثارٌ بوادي (25)

فمن نهر يطوف بكل أرض ومن روض يرفُّ بكل وادي

ومن بين الظباء مهاة إنس سبت (26) لُبّي وقد ملكت فؤادي

لها لحظ ترقده لأمر وذاك الأمر يمنعني رقادي
 إذا سدلت ذوائبها عليها رأيت البدر في أفق السواد
 كأن الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالحداد

أرأيتم هذه المقارنة البارعة؟ بين بياض الوجه وسواد الشعر، الذي يغطي الرأس والوجه، وينزل على الكتفين، وأثناء السباحة والاستحمام يعلو فوق الماء. ألاحظتم هذه الصورة الجميلة التي تعقدها بين هذه الحسناء المكتملة الشباب، وبين البدر في أفقه أثناء الليل؟ وأخيرا انظروا إلى البيت الأخير، وما فيه من روعة التشبيه، وجمال التعبير، فبزوغ الفجر، وما فيه من حسن وبهاء، وظهور بياض ناصع في سواد قائم، فهو شبيه بحسنا فاتنة، علمت بوفاة أخ شقيق لها، فأسرعت إلى لباس السواد، إعلانا للحزن، وإظهارا للنازلة الفاجعة.

ولعل من المناسب أن نذكر بأن بعض المدن الأندلسية كانت تلبس البياض في أيام الحزن، والحداد، على عكس ما هو معروف من لبس السواد أيام الكوارث والمصائب خاصة في الوفيات، والمآتم: قال الحلواني:

إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب
 ألم ترني لبست بياض شعري لأنني قد حزنت على الشباب؟

حقا إن هذا التعليل الذي اعتمد عليه الشاعر لتعليل منطقي مقبول، ولذلك نرى شاعرا آخر يشيد بهذه العادة في الحزن ويؤكد بأن ذلك من فطن أهل الأندلس، وذكائهم:

ألا يا أهل أندلس فطنتم بلطفكم إلى أمر عجيب
 لبستم في ماتمكم بياضا فجئتم منه في زي غريب

صدقتم فالبياض لباس حزن ولا حَزْنٌ أَشدُّ من المشيب (27)
وبعد هذا الاستطراد نعود إلى شاعرتنا حمدة، ونتابع حديثنا معها،
ونقف وقفة قصيرة وحول هذه المقطوعة السحرية الموحية :

ولما أبى الواشوان إلا قتالنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة وقلّ حماتي ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك (28) وأدمعي ومن نفسي بالسيف والسيّل (29) والنار
وقبل أن تغادر الحديث عن حمدونة إلى غيرها، أحب أن أشير إلى أن
هذه الأبيات أيضا قد نسبها بعض المشاركة إلى غيرها وأن أبا جعفر
الأندلسي قد تصدّى للرد عليهم. ونقل كلام الرعيني: وقال: إن
مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له
أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمّته ونصّه: «كانت من ذوي
الألباب، وفحول أهل الأداب، حتى إن بعض المنتحلين تعلق بهذه
الأهداف وادّعى نظم هذه البيتين :

ولما أبى الواشوان إلا قتالنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة وقلّ حماتي عند ذاك وأنصاري
لما فيهما من المعاني والألفاظ العذاب، وما غره في ذلك إلا بُعد دارها،
وخلّو هذه البلاد المشرقية من أخبارها» (30) .

وأشد الملاحى عن أبي الكرم جودي عن البراق لحمدة ترثي صبيا
صغيرا :

يعزّ علينا أن نوسدكم الثرى بمجهله لا دار فيها ولا أهلا

وقد كنتُ أرجو أن يطول لك المدى وأنك إن تاتِ الردى تاته مهلا
على أنه مألذة العيش للفتى وغايته شرخاً كغايته كهلا
عليك السلام كلنا أنت فاقتعد ضريحك لا حزناً تبالي ولا سهلا (31)

11. ولادة (32) (ت : 484 هـ - 1091 م) .

عاشت في هذا القرن الخامس الهجري، ونشأت في مجتمع حضاري راق، وتنتسب إلى بيت عريق، وأسرة حاكمة أصيلة. هذه الشاعرة الساحرة الفاتنة بديع شعرها، وجمال منظرها، وحسن مخبرها، هي ولادة بنت أمير المؤمنين المستكفي، محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، ولدت بقرطبة، وترعرعت في بيت الخلافة، وتكوّنت على يد علماء أجلاء، وأدباء كبار، تولّى أبوها الحكم، وبويع بالخلافة لمدة قصيرة عام 416 ولكنه أبعد عنها، لما كان يتّصف به من الخلاعة والندالة واللؤم، بحيث لم يذكره أحد - ممن قرأت لهم - من المؤرخين بخير، فقد اجتمعت فيه كل صفات الخساسة والوضاعة، كان عبيد شهواته، وضحية نزواته، فقد ثار عليه خصومه وهجموا عليه في بيته، فلبس النساء، وفرّ إلى الثغر، وهناك مات ميتة مجهولة.

أما ابنته «ولادة» فقد بقيت بقرطبة، عاصمة الدولة، يجتمع عندها في قصرها الشعراء والأدباء، ويتنافس في نيل رضاها الأدباء والشعراء والوزراء.

فقال ابن دحية في كتابه «المطرب» يصف ولادة، ومكانتها الأدبية: وكانت في نساء زمانها، واحدة أقرانها، حضور شاهد، وحرارة أوابد،

وحسن منظر ومخير، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة
 منتدى لأحرار مصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعيش أهل الأدب
 إلى ضوء غرتها، ويتها لك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها،
 إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها. فخلط ذلك بعلو نصاب، وسمو
 أحساب، على أنها سمح الله لنا ولها، وتعمد زلنا وزللها، أطرحت
 التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلة مبالاتها، ومجاهراتها
 للذاتها.

وأما ذكاء خاطرها، وحرارة نوادرها فأية من آيات فاطرها (33)، ويبدو أن
 ولادة بعد رحيل والدها، وجدت نفسها طليقة، مألها وفير، وجاهاها
 عريض، ونبوغها في فنون الشعر والموسيقى والغناء شهير، ففتحت أبواب
 قصرها للأدباء والشعراء ورجال الحكم، والدولة، تهىء لهم كل ما
 يحتاجونه من نعيم، وما يسمعون من أدب وشعر، ونقد سليم. وكانت
 تجلب إليها الأنظار، قبل الأذان والأذواق، فقد كتبت بماء الذهب على
 ثوبها الحريري الذي تضعه على كتفيها بيتين من شعرها، يثيران
 الاهتمام، ويشدان إليها الأبصار، والعواطف، والأذهان، كتبت على
 الجانب الأيمن :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتبه تيهي
 وعلى الجانب الأيسر :

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها
 وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف (34).

- ولادة وابن زيدون :

وكان ابن زيدون (463 ت : هـ) الوزير، والشاعر، والناقد، أحد المترددين إلى منتدى ولادة، يبتغي فيه تصيد الملفاتن، واغتنام المسرات، وإشباع النفس. والعقل لما يُلقى، ويقال، في كل المجالات، فأخذت منه ولادة قلبه وعقله، وسلبته لبّه وتفكيره، فتعشقها أبو الوليد، وجرت له معها أخبار مشهورة، ومواقف معروفة، وكانت تداعبه أحيانا، بهجائها اللاذع :

إن ابن زيدون على جهله يفتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا إذا جثته كأنما جثت لأخصي علي

فقد تحدث أبو الوليد عن أول لقاء في ليلة طويها في نعيم، ثم في عتاب أشبه بنعيم فقال :

كنت في أيام الشباب، وغمرة التصاب، هائما بغادة، تدعى ولادة، أرى الحياة متعلقة بقربها، ولا يزيدني امتناعها إلا اغتباطها بها، فلما قُدر اللقاء، وساعد القضاء كتبت إلي :

ترقب إذا جن الظلامُ زيارتي فإنسي رأيت الليل أكتم للسّر
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر (35)

ويواصل ابن زيدون، واصفاً أول لقاء بينهما على انفراد، وأنه ينتظر ساعة الميعاد قائلا :

فلما طوى النهار كافوره، ونشر الليل عييره، أقبلت بقدر كالقضيب، وردف كالكتيب، وقد أطبقت نرجس المقل، على ورد الخجل، فملنا على روض مديح، وظلّ سجسج، قد قامت رايات أشجاره، وفاضت سلاسل

أنهاره، ودرُّ الظل منشور، وجيب الراح مزرور، فلما شببنا نارها، وأدركت
منا ثأرها، باح كلُّ منا بحبه، وشكا أليم ما بقلبه، وبتنا بليلة نجني أقحران
الثغور، ونقطف رمان الصدور، ولما نشر الصبح لواءه، وطوى الليل
ظلماءه، ودّعته، وأنشدتها :

ودّع الصبر محب ودعك ذائع من سره ناستودعك
يقرّع السنّ على أن لم يكن زاد في تلك الخطا إذا شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا حفظ الله زمانا أطلعك
إن يطُلْ بعدك ليلي فلکم بتُ أشكو قصر الليل معك (36)

ذلك أول لقاء على انفراد بين الشاعرين، على ما يصرح به ابن
زيدون، وتلك هي ولادة بقدها، وردفها، وعينها النرجسيتين... ولم يكن
هذا اللقاء هو الوحيد والفريد، بل تبعته لقاءات وسهرات، وليالي بيضاء
هادئة، وها هو ابن زيدون يصف ليلة أخرى من تلك الليالي البيض، التي
قضيها بين العود والغناء، وبين اللوم والعتاب، وسفك دماء الراح، إلى أن
فضل بينهما الفجر والصباح، وقد أحضرت ولادة هذه المرة جاريتهما
«عتبة» لتقوم بالخدمة، وتنشر البهجة والسرور في المجلس، بالغناء والعود،
فغنت لهما باختيارٍ وأمرٍ من ولادة :

أحبتنا إني بلغت مؤملي وساعدني دهري واصلني حبي
وجاء يهنيني البشير بقربه فأعطيته نفسي وزدت له قلبي (37)

ويبدو أن الشاعر هو الذي ذهب إليها في هذه المرة، وأنها كانت في
انتظاره، وبعثت من يشرف على استقباله، وقد أعجب ابن زيدون بصوت
الجارية المغنية، وبحسن أدائها، فطلب منها الإعادة من غير استئذان

ولادة، فذبّت الغيرة في قلبها، وظهر أثر ذلك على وجهها، فانقلب الضياء ظلاما، والنهار ليلا، والابتسام تجهُّها. فاتجهت الأميرة الحبيبة إلى جاريته تضرّبها، وتعنّقها فأعرضت عن الحبيب، وترك ابن زيدون يصف ذلك بقلمه السيال، فهو الذي عاش واكتوى، وشاهد المنظر والمحتوى.

قال ابن زيدون : فسألته إعادة بغير أمر ولادة، فخبأ منها برقُ التبسم، وبدا عارض التجهُّم، وعاتبت «عتبة» بل ضربتها، فقلت :

وما ضربت عُتْبَى لذنْبٍ أَتَتْ بِهِ وَلَكِنَّمَا وَلَادَةٌ تَشْتَهِي ضَرْبِي
فَقَامَتْ تَجْرُ الذَّيْلَ عَائِرَةً بِهِ وَتَمَسَّحُ طَلَّ الدَّمْعُ بِالْعَنَمِ الرُّطْبِ (38)
فَبَتْنَا عَلَى الْعَتَابِ، فِي غَيْرِ اصْطِحَابِ، وَدَمَ الْمَدَامُ مَسْفُوكٌ، وَمَأْخُذُ
اللَّهُوَ مَتْرُوكٌ، فَلَمَّا قَامَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَشْجَارِ، وَأَنْفَتَ مِنْ
الاعتراف، وبَاكَرَتْ إِلَى الانصراف، وَشَتَّ بِمَسْكِ الْأَنْفَاسِ، عَلَى كَافُورِ
الْأَطْرَاسِ.

لو كنتُ تُنْصَفُ فِي الْهُوَى مَا بَيْنَنَا لَمْ تَهْوِ جَارِيَتِي وَلَمْ تَتَخَيَّرْ
وَتَرَكْتَ غُصْنَا مَثْمَرًا بِجَمَالِهِ وَجَنَحْتَ لِلْغُصْنِ الَّذِي لَمْ يَثْمُرْ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنْنِي بَدْرُ السَّمَاءِ لَكِنْ دُهِيتُ لَشَقْوَتِي بِالْمَشْتَرِي (39)
فَوَلَادَةُ الْأَمِيرَةِ الْمَتْرُفَةِ الشَّاعِرَةِ تَرَى نَفْسَهَا بَدْرًا يَتَبَخَّرُ بَيْنَ النُّجُومِ،
سُلْطَانًا وَجَمَالًا، وَبُرُوزًا، وَتَسْتَعْمَلُ أَسَالِيْبَ التَّوْرَةِ وَالطَّبَاقِ، وَالنَّفْيِ،
وَالْإِثْبَاتِ، وَتَتَلَاَعِبُ بِالْأَلْفَاظِ وَالْكَلِمَاتِ، كَمَا تَتَلَاَعِبُ بِالْعُقُولِ
وَالْعَوَاطِفِ وَالذَّوَاتِ.

تلك هي بعض مجالس الأنس التي كانت تقام بقرطبة، وذلك بعض ما كان يجري فيها من مجالس أدب ولهو وطرب.

وكانت المراسلة بين الشاعرة وابن زيدون بلغة الشعر، فقد كتبت إليه بعد ما صدر منها من إعراض ولوم وعتاب، معذرة، ومتشوقة، كأنها خائفة من اتساع الخلاف، فيطول، وعدم التلاقي والاصطحاب، وتدعوه لجمع الشمل والتخفيف من ألم الفراق، فتقول:

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق	سبيل؟ فيكشو كل صَبٍّ بما لقي
وقد كنت أوقات التزوار في الشتا	أبيت على جمرٍ من الشوق محرق
فكيف؟ وقد أمسيت في حال قطعة	لقد عجل المقدار ما كنت أتقي
تمر الليالي لا أرى البين ينقضي	ولا الصبر من رِقِّ التشوق معتي
سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً	بكل سكوبٍ هاطلٍ الويل مُغدق

وهكذا تبرز ظاهرة جديدة في الشعر الأندلسي، وهي ظاهرة تغزل المرأة بالرجل، وكانت التقاليد المعروفة أن يتودّد الرجل للمرأة، ويتذلّل لها، ويرجو وصالها، لا أن يكون العكس كما في هذه المقطوعة، حيث نرى ولادة تصرّح بأنها قد ضاقت لغياب الحبيب، ولم تطق صبرا على هذا البعد، ولا ترى في ذلك بأسا، ولم تجد معارضة في مجتمعها - فيما نعلم - .

ونرى ابن زيدون يجيبها شعرا، على نفس القافية والوزن والموضوع:

لما الله يوما لست فيه بملتق محياك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة؟ وأي سرور للكئيب المؤرق؟ (40)

وكتب لها ينبهاها بأن البيت الأخير من مقطوعتها يحتاج إلى تعديل

وتقوم، إذ يمكن لهذا الوبل المغرق أن يغرقه ومنزله، فيهلك ويحل به الدمار، وذلك ما لا تقصده، بل لا تريده، ويذكرها بأن القدامى قد انتقدوا قول ذي الرمة: (41)

ألا يا سلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر
حيث أخذوا عليه بأن معنى البيت أشبه بالدعاء على المحبوب من
الدعاء له، ذلك مما ينبغي الاحتراز منه، وأشار عليها بيت آخر مناسب
لذي الرمة وهو قوله:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمني (42)
وإنما فعل ابن زيدون هذا بناء - على ما يبدو - على طلب ولادة في نقد
شعرها، وتنبيهها إلى أماكن الضعف فيه، فتتلافاه في المستقبل، إذ
تعتبره أستاذها، وحبيبها في وقت واحد. وبما لا شك فيه أن ابن زيدون
يحاول جهده أن ينفرد بولادة، وأن لا يشاركه فيها أحد، وأن كل من
يقرب منها ويطلب رضاها ووصالها يهاجمه، ويحذر ولادته من الوقوع
في مخالفه، فهذا الوزير ابن عبدوس يحاول جاهدا التقرب من ولادة،
ويتحينّ الفرص لاحتلال قلبها، وإبعادها عن سواه، وهنا تدب الغيرة في
نفس ابن زيدون، ويسيل قلمه، ويهجو ابن عبدوس، ويصفه بأقبح
الصفات، وفي سورة هذا الغضب الجامح، وبلا وعي منه، أو عن قصد
ووعي، تصيب شاذي لسانه ولادة، فتتحرك للدفاع عن نفسها، وتهجو
ابن زيدون بهجو مر قبيح. ضمنته من الفحش، وسقط اللسان ما لم
يسبقها إليه إنسان:

إن ابن زيدون على فضله يعشق قضبان السراويل
لو أبصر الأير على نخلة صار من الطير الأبايل
ولا تكتفي بهذا الكلام الذي يتحاشى أن يلفظه اللسان، وتقول
متهمة إياه بأخبث الصفات، وأعظم الموبقات:

إن ابن زيدون على فضله يغتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا إذا جئته كأني جئت لأخصي علي
هكذا تنقلب ولادة بين عشية وضحاها، من حمل ودودٍ وديع، يرجو
الاتصال ويخاف من الانفصال، ولا يطيق الصبر على البعد والنوى، إلى
حيوان شرس، كله غضب وحبٌ في الانتقام:

ولُقبتَ المسدس وهو نعتٌ تفارقك الحياة ولا يفارق
فلوطي ومأبون وزان وديوثٌ وقرنان وسارق⁽⁴³⁾
حقا عندما نعود إلى ما قاله ابن زيدون في ولادة عرضا، لا يصل إلى
هذه النعوت والاتهامات، ولا ينزل إلى أسفل هذه الدرجات، من الحقارة
والمذلة والهوان. لتترك ولادة قليلا ولنذكر بعض ما قاله ابن زيدون في
ابن عبدوس المنافس الخطير له فيها:

وشمرت للخوض في لجة هي الموت ساحلها لم يخض
وغرّك من عهد ولادة سرابُ تراءى وبرق ومض
تظن الوفاء بها؛ والظنّو ن فيها نقول على من قرّض
هي الماء يأبى على قابض ويمنع زبدته من مخض
ونبتئها بعدي استحمدتُ بسرّي إليك لمعنى غمض

أبا عامر عشرة فاستقل لتبرم من ودها ما انتفض
وحسبي أني أطبت الجنى للإبانه، وأبحت النفض (44)

ونرى ابن زيدون - بعد اليأس من العودة إلى ولادة، واستحواذ الوزير ابن عبدوس على مكانه منها - يعلل نفسه بأنه قد أصاب منها ما يحب، وأنه لم يترك لغيره إلا ما لا يلتقط ويجتنى. وكان ابن عبدوس يكنى بالفار فقال:

أكرم بولادة علّقاً لمعلق لو فرقت بين بيطار وعطار
قالوا أبو عامر أضحي يلم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار
غير تمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحب وما في ذاك من عار
زاد شهى أصبنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفحنا عنه للفار (45)

ولم تكن ولادة ساخرة ومفحشة في ابن زيدون وحده، فقد تعود لسانها على القول القبيح، ووصف غيره بمثل ذلك من النعوت، فقد مرت يوماً على الوزير أبي عامر ابن عبدوس، وهو جالس أمام داره، وبالقرب منها بركة تتولد عن كثرة الأمطار، وربما استمدت بشيء مما هنالك من الأقدار، وقد نشر أبو عامر كُمّيه، ونظر في عطفه، وجمع أعوانه إليه، فقالت له:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدققا فكلما نهر
فتركته لا يحير جوابا ولا يرد طرفا، وحفظت هذه النادرة، وشغل بها الناس حيناً من الزمن. ومن الذين نالوا حظهم من سخرية ولادة، وهجائها اللاذغ، الأصبحي حيث قالت فيه:

يا أصبحي أهناً فكم نعمة جاءتك من ذي العرش رب المن
فقد نلت بأنت ابنك ما لم ينل بفرج بوران أبوها الحسن (46)
وكانت ولادة إلى جانب كونها شاعرة عالمة بالعلوم الشرعية، مجازة في
العربية وآدابها:

يحدثنا بدر الدين الصديقي بأنها أجيّزت بالإفتاء والتدريس. أما ابن
نباتة المصري فيصفها بذات خلق جميل، وأدب غص، ونوادر عجيبة،
ونظم جيد. بينما نرى القاضي، أبا القاسم خلف بن عبد الملك بن
بشكوال، لا يتفق مع ابن نباتة في سلوكها وأخلاقها، وهو أدرى بها
وأحق، وأهل مكة أدرى بشعابها، كما يقول المثل العربي القديم: حيث
يقول: سمعت شيخنا أبا عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي القرطبي
(ت: 535) يصف نباهة ولادة وفصاحتها، وحرارة نادرته، وجزالة
منطقها، وقال لي: «لم يكن لها تصاون يطابق شرفها» (47). ويتحدث عنها
ابن خاقان بكلمات فيها سجع، وإغراء وجمال حيث يقول: وكانت من
الأدب والظرف، وتتميم المسمع والطرف، بحيث تختلس القلوب
والألباب، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب (48).

وفيها يقول الضبي: أديبة، شاعرة جزلة القول، مطبوعة الشعر، تخالط
الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء (49).

وأخيراً يقول فيها المقري: كانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها،
جميلة المحاضرة، مشكورة المذاكرة (50).

تلك هي بعض الآراء من الذين تناولوا ولادة بالبحث، وتعرضوا
لحياتها بالدراسة والتنقيب، بقي أن نشير بأن ولادة كانت تلقب بعليّة

المغرب تشبيها لها بعليّة المشرق، بنت الخليفة العباس المهدي، والتي نبغت ببغداد، وعاشت نصف قرن من الزمن (160 - 210 هـ) إلا أن ولادة تزيد عليها بمزية الجمال الفائت. وأما الأدب والشعر والنادرة، وخفة الروح، وحلو المعاشرة، فلم تكن تقصر عنها، كما لها صنعة في الغناء ودراية في الموسيقى.

وشعر ولادة، كما رأينا في النماذج السابقة، قوي السبك، سهل الألفاظ، سلس العبارة، ليس فيه تكلف ولا تأنق، أما موضوعاته فتكاد تنحصر في العزل والفخر، والفكاهة والدعابة، والسخرية، والهجاء. وكانت لا تتروّع في استعمال الألفاظ البذيئة التي تقطر فحشا، وترشح عيبا، وإليها يعود الفضل في إذكاء شاعرية ابن زيدون، وإلهامه القصائد الغزلية الرائعة، والتي تُعدُّ بحق من أروع ما أنتجه الفكر الإنساني على مر العصور.

إذ كان يكلف بها، وبهيم، ويستضيئ بنور محياها في الليل البهيم .
ولعل أروع قصائده التي تذوب وجدا وحنينا، وهياما، التي مطلعها:
أضحى التناثي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا نجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت مآقينا
هذه القصيدة التي أصبحت على مدى الأيام والسنين مثالا يحتذى، تقلد، وتعارض، وتُغنى وتنشد، فلا تملأها الأسماع، ولا يُبليها مرور الزمن، ذلك هو الأدب الحي الذي يبقى ما بقيت الأرض والسماء. هذا وقد امتد بولادة العمر طويلا، وعاشت ما يقارب التسعين سنة، والتحقت برّبها سنة أربع وثمانين وأربعمائة (484).

مهجة بنت التيانى القرطبية: (51)

هذه شاعرة أخرى قرطبية المولد والنشأة، لها علاقة وطيدة بولادة، وكانت من أجمل نساء زمانها، وأخفهن روحاً، وأكثرهن دعابة، فهي من الطبقة الشعبية، فقد كان أبوها بائع تين، وفواكه وخضر، ولذلك عرفت باسم « مهجة بنت التيانى » ورغم أنها لم تكن من طبقة الملوك والأمراء، ولا من البيوتات المرموقة الغنية، بل كانت من الطبقات الشعبية العادية، بالرغم من هذا كله فقد استطاعت بأدبها، وحلاوة منطقتها، وحسن عشرتها، وجمال منظرها، أن تتوصل إلى ولادة، وتكون معها علاقة صداقة ومودة، فقد علقتها هذه الأخيرة، وأحببت منها خفة روحها، وحسن منظرها، فتولت تربيته وتأديبها، واعتنت بها، حتى أصبحت شاعرة منافسة لها، ولذلك لم تدم العشرة بين الشاعرتين الجميلتين طويلاً، إذ سرعان ما انقلبت الصداقة إلى تنافس، ثم إلى هجاء لاذع قارس، وقدما قيل: إن المشاركة في المهنة عداوة.

فقد وقع بين مهجة وولادة صاحبة نعمتها ما أوجب أن تقول فيها:

ولادة قد صرت ولادة من غير بعل، فضح الكاتم
حكّت لنا مريم لكنه نخلة هذي ذكر قائم

حتى قال بعضهم: لو سمع ابن الرومي - وهو الهجاء المعروف - هذا الشعر لأقرّ لمهجة بالتّقدم في فن الهجاء.

وأهدى لها أحد الهائمين بها، والمعجبين بجمالها الفتان، خوفاً فكتبت إليه:

يا متحفاً بالخوخ أحبابه أهلاً به من مُثلج للصدر
حكى ثدي الغيد تفليكه لكنه أخزى رؤوس الأيور

اعتماد الرميكية: (52)

ومن شاعرات الأندلس في القرن الخامس الهجري جارية المعتمد بن عباد، ملك إشبيلية، وأم أولاده التي شاركته أيام عزه وسلطانه، وقاسمته أيام سجنه واعتقاله، والإطاحة به، وسبب اختيار المعتمد لها قرينةً وزوجاً، أنه كان على زورق متجولاً كعاداته في النهر الكبير بإشبيلية، ومعه وزيره ابن عمار الشاعر المشهور، وقد زردت الريح ماء النهر، فقال ابن عباد لوزيره ابن عمار أجز:

صنع الريح من الماء زرد

فأطال ابن عمار التفكير، ولم يوفق لإكمال البيت، فقالت امرأة من الغسالات قرب النهر:

أيّ درع لقتال لو جمد

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به، مع عجز ابن عمار، ونظر إليها فإذا هي فتاة جميلة أنيقة فأخذت بلبه، وملأت عينيه، فسألها: أذات زوج هي؟ فقالت: لا. فقرّر الزواج بها، وخطبها من أهلها، فأصبحت زوجته المحظية، وقرينته المحبوبة.

هذه الجارية الشاعرة هي التي كانت السبب في قتل الوزير ابن

عمار، لأنه تعرّض لها في قصيدة يتهجم فيها على أصلها، ويستهن بنسبها، وأنها من بنات الهجان، لا تساوي عقالا، وفي القصيدة تعريض واضح على سيده وملكه، ويستهزيء به وبغيره من ملوك الطوائف، وأنهم لا يمثلون الملوك إلا أشكالا، وصورا خيالية لا روح فيها.

مما يزهني في أرض أندلس أسماء معتصد فيها ومعتد
القب مملكة في غير موضعها كالهـ يحكي انتفاخا صولة الأسد
والقصيدة التي كانت السبب في قتله وإثارة حفيظة المعتمد عليه، هذه بعض أبياتها:

تخيرتها من بنات الهجان رمكية ما تساوي عقالا
فجاءت بكل القصير العذار لئيم النجارين: عما وخالا
قصار القدود ولكنهم أقاموا عليها قرونا طوالا
وبعد التعرض للجارية اعتماد، ينتقل إلى المعتمد نفسه، ويذكره بأيام حياته الأولى، وما جرى بينهما، ويكشف ستره، ويفضح أعماله:

أتذكر أيامنا بالصبا وأنت إذا لحت كنت الهلالا
أعاق منك القضيب الرطيب وأرشف من فيك ماء زلالا
وأقع منك بدون الحرام فتقسم جهـدك أن لا حلالا
سأهتك عرضك شيئا فشيئا وأكشف سترك حالا فحالا
فيا عامر الخيل ويازيدها منعت القرى وأبحت العيالا

ونقل المقرئ في نفحه عن ابن سعيد المغربي في بعض مصنفاته، أن المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، كان كثيرا ما يأنس بزوجه اعتماد،

ويستظرف نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء، وإنما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادرة، كثيرة الفكاهة، لها في ذلك نوادر محكية. ومن أخبارها القصة المشهورة في قولها «ولا يوم الطين» وذلك أنها رأت الناس يمشون في الطين، فاشتتهت أن تفعل ذلك، فأمر المعتمد، فسُحقت أشياء من الطيب، وذُرَّت في ساحة القصر، حتى غمّته، ثم نصبت الغرابيل، وصُبَّ فيها ماء الورد على أخلاط الطيب، وعُجنت بالأيدي، حتى عادت كالطين، وخاضتها اعتماد الرميكية مع جواربها وبناتها، وغاضبها يوما، فأقسمت أنها لم تر منه خيرا قط. فقال: «ولا يوم الطين» فاستحيت واعتذرت. وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء «لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط».

وإلى هذه القصة يُشير المعتمد يوم كان أسيرا، وقد دخل عليه أهله يوم العيد يهنئونه، وفيهم بناته، وعليهن أظمار كأنهن كسوف وهن أقمار، يبكين عند التساؤل، ويبدين الخشوع بعد التخایل، والضیاع قد غيّر صورهن، وحيزَ نظرهن، وأقدامهن حافية، وأثار نعيمهن عافية، فقال:

فيما مضى كنتُ بالأعياد مَسْرورا	فساءك العيدُ في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأظمار جائعة	يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة	أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية	كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
مَن بات بعدك في ملكٍ يُسرُّ به	فإنما بات بالأحلام مغرورا (52)

وقد توفيت الرُمكية اعتماد بأغمات قبل زوجها بقليل، وذلك عام ثمانية وثمانين وأربعمائة (488 هـ) فكانت حياتها وحياة عائلتها عبرة لمن يعتبر (53).

بثينة بنت المعتمد بن عباد: (54)

ومن أبناء المعتمد من الجارية المحبة اعتماد، الشاعرة العفيفة الأبية «بثينة» لقد نشأت بثينة وترعرعت في ظل السلطة والملك والجاه، وعاشت في بيت الثراء والرفاهية والنعيم، وتربّت في جو العلم والأدب والشعر، فأبوها ملك وشاعر، وأمها أدبية شاعرة، فكانت مثل أمها جمالا وأناقة، وضرب مثل، وصوغ نادرة، واتجال الشعر، ولكن حياتها الوادعة لم تدم طويلا، فقد أسقط المرابطون ملوك الطوائف، ووضعوا حدا لتلك الدويلات المتناحرة على حساب المصلحة العليا للأمة.

فكان المعتمد من أبرز ملوك الطوائف، قاوم المرابطين بكل ما يملك، ولكن قوة المهاجمين كانت أعظم، فسرعان ما وقع في أيديهم، واقتادوه مع أهله، مكبلاً إلى أغمات خارج مراكش، حيث عاش طريد حزن، وجوع، وحرمان، إلى أن وفته منيته. أما ابنته بثينة فقد وقعت أسيرة في قصر أبيها. وبيعت في سوق النخاسة، كما يباع العبيد، حيث اشتراها أحد التجار، ووهبها لابنه، للطفها وجمالها، فلما أرادها الإبن امتنعت عليه قائلة له: إني لا أحل لك إلا بعقد نكاح، لأنني حرة وبنت ملك، ولا أتزوجك إلا برضى أبي، الولي الشرعي، وأشارت على أهل الابن أن يوجهوا كتابا إلى

أبيها السجين، بأغمات، على أن تتولى هي كتابة الكتاب، وينتظرون
الجواب منه، فكان الذي كتبه بخطها:

إسمع كلامي واستمع لمقالتني	فهي السلوكُ بدت من الأجياد
لاتنكروا أني سُبيت وأنني	بنتُ ملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره	وكذا الزمان يؤول للإفساد
لما أراد الله فُرقة شملنا	وأذاقنا طعم الأسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه	فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجتُ هاربةً فحازني امرؤ	لم يأت في أفعاله (55) بسداد
إذ باعني بيع العبيد فضممني	من صانتي إلا من الأنكاد
وأرادني لنكاح نجلٍ طاهر	حسن الخلاق من بني الأمجاد
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا	ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتني تعرفني به	إن كان ممن يرتجى لودادي
وعسى رميكية الملوك بفضلها	تدعولنا باليُمن والإسعاد

فلما وصل خطابها إلى أبيها المعتمد، المسجون بأغمات، سرّ بالخطاب
أيما سرور، إذ كان عليها في حزن دائم، وأسف شديد، لأنه لا يعلم مصيرها،
ولا ماذا حلّ بها، فلما قرأ شعرها، وعرف حالها، زالت عنه الحيرة،
واستبشرت الوالدة بسلامة ابنتها الشاعرة الأدبية، فكتب المعتمد إليها
في الحال ووافق على الزواج، وأوصاها بالبرور بالزوج، والصبر على
الفراق، ومصائب الزمان وحوادث الليالي والأيام:

بنيتي كوني به برة فقد قضى الدهر بإسعافه

البليسية: (56)

هذه الشاعرة تنسب إلى بلس، شاعرة أمية، قال أحمد بن يحيى
 الضبي: أنشدني بعض أصحابنا من شعرها، وهي بكر في دار أبيها:
 لي حبيب خده كالورد حسنا في بياض
 هو بين الناس غضبان وفي الخلود راض
 فمتى ينتصف الظلوم، والظالم قاض
 قال: وأنشدني من شعرها قطعة لا أذكرها الآن .

العبادية جارية المعتضد: (57)

ونختم الكلام عن العائلة العبادية المالكة بإشيلية بجارية المعتضد
 عباد، والد المعتمد، هذه الجارية أهداها إليه مجاهد العامري، حاكم دانية،
 وكانت العبادية أديبة ظريفة، كاتبة، وشاعرة، ذاكرة لكثير من كتب اللغة
 والأدب، وما يدل على فطنتها، وقوة ذاكرتها، وسرعة بديتها أن سيدها
 عبادا سهر لية لأمر أحزنه ، وأقلق مضجعه، وهي نائمة بجانبه فقال:
 تنام ومدنفها يسهر وتصبر عنه ولا يصبر
 فأجابته بديهة:

لئن دام هذا وهذا له سيهلك وجدا ولا يشعر

أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح: (58)

ومن شاعرات المارية، عاصمة بن صمادح، العامرة بكل أنواع النعيم،

فقد كانت قصور الملوك بها مزدحمة بالشعراء والشواعر، والعلماء، والأدباء الأكابر، فمن شواعرها أم الكرم، هذه الأدبية الشاعرة، ليست من طبقة العامة، ولا من دهماء الشعب، بل هي من السادة الذين سمت بهم المنازل، وارتفع بهم الجاه، أبوها على رأسه التاج، وفي يديه الصولجان، والدنيا مقبلة عليه، والسعد كله حاضر بين يديه، ومع كل ذلك نرى ابنته «أم الكرم» غلبت عليها نزعة الأدب، وتفتق ذهنها على الشعر، واستهوتها الدراسة، وحلقات البحث والطلب، ولم يمنعها مركزها الاجتماعي، من أن تعشق فتى مشهورا بالجمال، موصوفا بالكمال، معروفا بالنبل واللفظ والدلال، هذا الفتى المحظوظ من بلد «دانية» يدعى «السمار» فنظمت فيه أم الكرم الموشحات، وطلبت أن تغنيها بين يديها المغنيات وقالت فيه ما اشتهر بين الناس، وتناقلته الألسنة:

يا معشر الناس أأفا عجبوا	مما جنته لوعة الحب
لولا له لم ينزل بدر الدجى	من أفقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه	فارقني تابعه قلبي

فهذه مقطوعة لطيفة رقيقة، جادت بها قريحة أميرة تعترف بأن للحب سلطانا فوق كل سلطان، وأنها من الدرجة العليا، وأن المحبوب من الدرجة السفلى، فهي البدر في السماء وهو التراب في الأرض، ورغم كل هذا فلا تستطيع مفارقتها والابتعاد عنه، هذه جرأة ما تعودناها من غير شاعرات الأندلس، جرأة من أنثى تتغزل بالرجل، وتهيم به، ويطير قلبها حيث طار المحبوب.

ونرى المعتصم بن صمادح ملك المرية، لما سمع شعر ابنته، اشتد غضبه، وبحث عن الفتى «السمار» حتى إذ قبض عليه، أنزل به العذاب الشديد، وأخفى أمره عن الوجود، ظنا منه أن الأمر قد انتهى، ولكن هيهات، فقد ازداد الخبر انتشارا، واشتغل بذلك الناس سرّا وإعلانا. ومن شعر أم الكرم في فتاها المحبوب قولها:

ألا ليت شعري هل سبيلُ خوة يُنزه عنها سمعُ كل رقيب
ويا عجباً أشتاق خلوة من غدا ومثواه ما بين الحشا والترائب

أم العلاء بنت يوسف الحجازية (59):

هذه الشاعرة الأدبية ينسبها ابن سعيد إلى بلاد الغرب، ويقول: إن قومها قد استوطنوا الأندلس. وبها نشأت أم العلاء، وأنها من أهل المائة الخامسة، وكانت من الإجادة والنباهة مما جعل بلادها «وادي الحجارة» تفتخر بها، ويتباهى بها قومها وقبيلها.

فمن شعرها العاطفي الرقيق، الذي يظهر فيه الحياء، والحنان، كما يتراءى من خلاله الإعجاب بالمحبوب، والإطراء له، والمديح الممزوج بالحب.

كل ما يصدر عنكم (60) حسن وبعلياًكم تحلى (61) الزمن
تعطف (62) العين على منظركم وبذكراكم تلذّ الأذن
من يعيش دونكم في عمره فهو في نيل الأماني يُغبن
ونراها في مقطوعة أخرى تشكو في استحياء، وتعلن حبها في تذلل

وتردّد، واحتراز، ولم تصرخ صراخ أم العلاء في المرية، بل صاحت بصوت خافت رهيف، يسمعه القريب، ويعيه الأديب الأريب:

أفهم مطارح أحوالي وما حكمت به الشواهدُ واعذرني ولا تلم
ولا تكلني إلى عذر أبيّنه شرُّ المعاذير ما يحتاج للكلم
وكلّ ما جئته من ذلة فبما أصبحت في ثقة من ذلك الكرم
وعشقها شيخ كبير، قد اشتعل رأسه شيبا، وفارقه الشباب، واقترّب من القبر أو كاد، فطلب يدها، وتمنى أن ينال رضاها، ويصبح بعلها، ويفوز بقرانها، فكتبت إليه، تعلمه، بأن طلبه مرفوض، وأنه لا يمكن الجمع بين الليل والنهار، ولابن الضياء والظلام:

يا صبح لا تبدي إلى جنحي فالليل لا يبقى مع الصُّبح
الشيب لا يخدعُ فيه الصبي بحيلة فاسمع إلى نُصحي
فلا تكن أجهل من في الوري يبيت في الجهل كما يضحى
وأم العلاء شاعرة لها كبرياؤها وإباؤها، وعزة نفسها، فهي لا تريد أن تعكف كغيرها من بنات جنسها على المدامة، والغناء، واللهو والطرب، لأن ذلك يذهب من كرامتها، وينال من عزة نفسها الأبية، فهي لا تأخذ حظها من الكؤوس وبنات الكرم، ولا يستهويها اللهو والأنغام على حساب الإياء والأنفة.

لولا منافرة المدا مة للصبابة والغنا
لعكفت بين كؤوسها وجمعت أسباب المنى
وقالت تصف قصب واديهـا - وادي الحجارة - وهو يتمايل في كف الرياح، ويتبختر يمينا وشمالا كتبختر البنود المترفرة على خفقات

النسيم، وقد اصطفت قوائمها وارتكزت الواحدة تلو الأخرى في انتظام:

لله بُستانِي إذا يهفو به القَصَبُ المندى
فكأنما كف الريا ح قد أسندت بندا فبَنَدَا

زينب المرية: (63)

ومن شاعرات هذا الإقليم، إقليم المرية، شاعرة ناضجة فنية، تتحدث عن صاحبها بكل صراحة ودونما التواء، بضمير الغائب المفرد، ولا تفعل كصاحبيتها الغسانية حيث تخفي حبها، تحت ستار ضمائر الجمع الغائبة، كبرياء، وأنفة، هذه الشاعرة هي زينب المرية، هكذا ذكرها المقرئ، بدون التعرض لأصلها ونشأتها، وتكوينها، وإنما اكتفى بوصفها بأنها أديبة شاعرة، وحتى الدكتور إحسان عباس، وهو الأستاذ والحجة في الأدب الأندلسي لم يذكر للشاعرة مصادر إلا الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد.. المراكشي، بدون أن يذكر كعاداته الجزء والصفحة والطبعة، كما أن صاحب النفح لم يذكر للشاعرة إلا مقطوعة واحدة.

تقول فيها:

يا أيها الراكبُ الغادي لطِيتَه عرَّجْ أنْبثُكَ عن بعض الذي أجَد
ما عالَجَ الناسَ من وجد تضمَّنهم إلا ووجدني بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأنِّي في مَسرَّتِه ووَدَه آخرَ الأيام أجتهَد

غاية المنى: (65).

ومن هذا السيل الجارف من الشوارع، جارية أندلسية، جميلة المنظر، خفيفة الروح، فصيحة المنطق، ذكية، طريفة، حلوة المعاشرة، عاشت في عصر ملوك الطوائف حيث التشجيع من الملوك والأمراء لكل عالم، وأديب، وشاعر. هذه الجارية هي الأديبة والشاعرة، غاية المنى، قُدمت إلى حاكم «المرية» المعتصم بن صمداح، كتحفة رائعة، فأراد الحاكم اختبارها والاطلاع على فحواها ومخبرها، فسألها: ما اسمك يا جارية؟ فأجابت: غاية المنى.

فقال لها في الحال أجيزي:

اسألوا غاية المنى

فقلت:

من كسى جسمي الضنا

وأراني مـولها سيقول الهوى أنا

ولم يكتف المعتصم بهذا الاختبار السريع، بل بعثها إلى الأستاذ ابن الفراء الخطيب الشاعر، ليختبرها، ويعطي رأيه فيها. وكان ابن الفراء كفيف البصر، دقيق الملاحظة، سريع البديهة، قوي الذاكرة، نافذ البصيرة، فاختبرها، واستجازها، فأجازت في الحال، حيث قال لها: ما اسمك؟ قالت: غاية المنى: فقال: أجيزي:

سل هوى غاية المنى من كسى جسمي الضنا

فقلت تحيزه:

وأراني متيماً سيقول الهوى أنا
فأشار على المعتصم أن يزين قصره بها، وأن يحلّي مجلسه بأدبها،
حينذاك اشتراها المعتصم، فكان يتباهى بها لدى نظائره، من الملوك
والأمراء من بين شواعر هذا العصر.

هند جارية الشاطبي:

هذه الشاعرة مملوكة لأبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي، وكانت
أديبة، وشاعرة، أنيقة فنانة، تحسن الضرب على العود، وتحيد التلحين،
فتملك بصوتها وأدبها، وجمالها، الأسماع، والأبصار، والقلوب. كتب
إليها الأديب الشاعر أبو عامر ابن ينق رقعة يدعوها للحضور عنده بعودها
لإقامة مجلس الطرب، فكتب مع الدعوة:

يا هند هل لك في زيارة فتية نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدّوا فتذكروا نغمات عودك في الثقل الأول
فلما قرأت هند الدعوة، أخذت قلمًا، وكتبت على ظهر الرقعة في نفس
الروي والوزن قائلة:

يا سيدا حاز العُلا عن سادة شمّ الأنوف من الطراز الأول
حسبي من الإسراع نحوك أنني كنتُ الجواب مع الرسول المقبل
فإذا طويْنَا صفحات المائة الخامسة، وخطونا خطوة إلى الأمام، إلى المائة
السادسة وجدنا في طريقنا عددا هائلا من الشواعر لهن من النظم، والنثر،
ما يجعلنا نقف له إجلالا لكماله، وإكبارا لسحره الحلال، وجماله الفتان،
فمنهن شاعرة شريفة التجارة، أصيلة النسب، لم يصل إلينا لحد الآن

من شعرها إلا بيتان فقط، ولكنهما ينمان عن شاعرية فذة، ومقدرة عظيمة على دقة الملاحظة، هذه الشاعرة هي:

22 - نزهون الغرناطية : (ت : 550 هـ - 1155م) (65) .

لا تغادر غرناطة الفيحاء قبل أن نقف عند شاعرة مرموقة، وأدبية مشهورة، موصوفة بخفة الروح، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع ما تتمتع به من جمال فائق، وقوام لائق، وحسن رائق، لها مع الشعراء والوزراء مساجلات فكهة، ومحاورات شيقة، فهي تمثل شاعرة المدنية الأندلسية، في القرن السادس الهجري، حيث نراها قد ألفت بنفسها في الحياة الأدبية بلا تحفظ، وغمست نفسها في المجون، غمسا كاملا، حتى لقبت بشاعرة غرناطة المجونية، بحيث لا تتورّع من مخالطة الرجال، ومطارحتهم كل جوانب الحياة الشريفة منها وغير الشريفة.

ولذلك نرى ابن سعيد يصفها بالشاعرة الماجنة، الكثيرة النوادر، ولعل ذلك المجون الذي جمع بينها وبين الشاعر أبي بكر الخزومي الأعمى، يوضح لنا أحسن توضيح مدى ما وصلت إليه الشاعرة، ومجتمعها الغرناطي، من التحلل الأخلاقي، والتفصح، وقلة الحشمة والحياء.

فقد دعا الوزير أبو بكر بن سعيد الغرناطي جماعة من أهل الأدب والفن، إلى ندوة من ندواته، الكثيرة المألوفة، وحضر المجلس الشاعرة نزهون، والشاعر الأعمى الخزومي، فلما استوى بالشاعر المجلس، ووجد

نفسه بين روائح الند، والعود، والأزهار، وبين الموسيقى، والغناء، والأوتار،
قال :

دار السَّعِيدِيّ ذي أم دار رضوان	ما تشتهي النفس فيها حاضرٌ داني ؟
سقت أباريقها للند سحب ندىّ	تُحْدِي برعدٍ لأوتار وعيدان
والبرق من كل دنّ ساكبٌ مطراً	يحيا به ميثُ أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنا نُحدِّثه	ولا سبيل له إلاّ بأذان

فلما سمعت نزهون المقطوعة التفتت إليه قائلة :

وتراك يا أستاذ قديم النعمة بمجمر نذّ وغناء وشراب، فتعجب من تأتية
وتشبهه بنعيم الجنة، وتقول : ما كان يعلم إلا بالسمع، ولا يبلغ إليه
بالعيان؟ ولكن من يجيء من حصن المدور - بلد الخزومي - وينشأ بين
تيوس ويقر، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ وإلى هنا، يتحرك الخزومي
بعنف، ويتنحنج، ويشتم من صوته رائحة السخط والغضب، ويتساءل
مستهزئاً من هذه الفاضلة؟ فتجيبه نزهون : عجوز في مقام أمك، فقال -
سريعاً - كذبت ما هذا صوت عجوز وإنما هذه نعمة محترفة تشم روائح
هنها على فرسخ ...

وهنا يحاول الوزير صاحب الدعوة، أن يتدارك الموقف، ويلطف الجو،
ويعيد الشاعرين إلى مقام الأدب واللياقة، ولكن بلا جدوى - فهذه مأكرة
ماجنة، وهذا شاعر أعمى. فكيف يستطيع الوزير كبح الشاعرين، وإرجاع
الشاردين إلى الجارة والصواب. فقال الوزير: هذه نزهون بنت القلاعين،
الشاعرة الأدبية، فقال : سمعت بها لا أسمعها الله خيراً، ولا أراها إلاّ أيراً.

فقالت له: يا شيخ سوء تناقضت، وأي خير للمرأة مثل ما ذكرت؟ ففكر ساعة ثم قال الخزومي :

على وجه نزهون من الحسن مسحةً وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا (66)
قواصداً نزهون توارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا
قالت نزهون على الفور :

قل للوضع مقالا يتلى إلى حين يحشر
من المدور أنشئت ت والخرامنه أعطر
حيث البداوة أمست في أهلها تتبختر
لذاك أمسيت صبا بكل شيء مُدَوَّر
خلقت أعمى ولكن تهيم في كُلِّ أعـور
جازيتُ هجواً بهجو فقل لعنت (67) من أشعر؟
إن كنتُ في الخلق أنثى فإن شعري مذكر

ويروي المقرئ أنها أجابته بأبيات أخرى هي :

إن كان ما قلت حقاً من بعض عهد كريم
فصار ذكرى ذميماً يُعزى إلى كل لوم
وسرتُ أقبح شيء في صورة الخزومي

فقال لها اسمعي :

ألا قل لترهنة ما لها تجر من التيه أذيالها
ولو أبصرت بشة شمرت كما عودتني سر بالها

وهنا نرى الوزير أبا بكر بن سعيد يتدخل بشدة، ويقسم أن لا يزيد أحدهما على الآخر بكلمة هجاء، ولكن الخزومي يحييه قائلاً: أأكون هجاء الأندلس، وأكف عنها دون شيء؟

فيشتري الوزير منه عرضها، ويسكت المخزومي، ويخبو التراع، وتتحول هذه الخصومة إلى الود والمصاحبة، فقد أصبحت نزهون إحدى تلميذات المخزومي، تتلقى عليه الأدب، واللغة، وتحضر حلقات دروسه باستمرار (68).
تروي كتب الأدب أن الشاعر أبا بكر الكتندي، دخل يوما على المخزومي، فوجد نزهون تدرس عليه، فأراد مداعبته بالشعر، ويقول له: إن تلميذته فتنة للناظرين، وأن نعمة البصر قد فوتت عليه هذه المتعة فقال أبو بكر الكتندي للمخزومي أجز :

لو كنت تبصر من تكلمه

فأفحم وأطال الفكر، فما وجد شيئا، فقالت نزهون : لغدوت أخرس من خلاله

البدر يطلع من أزرته والغصن يرح في غلائله

تلك هي قصتها مع المخزومي التي انتهت بسلام. وتذكر كتب التاريخ الأدبي أن المخزومي كان حيا بعد الأربعين وخمسمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

أما قصتها مع الشاعر ابن قزمان، فهي لا تقل عن قصتها مع المخزومي فقد جاء ابن قزمان إلى غرناطة، واجتمع به جماعة من الأدباء، بينهم نزهون. وذلك بدعوة من الوزير أبي بكر بن سعيد، في منزله، فأنشد هم ابن قزمان بعض شعره الجميل، وكان يتوقع كلمة استحسان وتشجيع من الحاضرين، فإذا بالشاعرة نزهون تجابهه كعادتها بكل بذاءة ووقاحة، أحسنت يا بقرة بني إسرائيل، إلا أنك لا تسر الناظرين، فيجيبها ابن قزمان إن لم أسر الناظرين، فأنا أسر السامعين، وإنما يطلب سرور الناظرين

منك يا فاعلة، يا صانعة، ومن شدة غضبه، وفقدان السيطرة على توازنه،
أسرع إلى بنت العنب يشربها بنهم، لعلها تنسيه ما سمع، فلما تمكن
السكر منه، قام متمايلا، فيسقط في بركة ماء كانت بالمجلس، فلم يخرج
منها إلا وهو قد شرب كثيرا من الماء، وثيابه مبللة، فقال : اسمع يا وزير :

ايه أبا بكر ولا حول لي بدفع أعيان وأنذال
وذات فرج واسع دافق بالماء يحكي حال أذيالي
غرقتني في الماء يا سيدي كفره بالتغريق في المال

فأمر الوزير بتجريد ثيابه، وخلع عليه ما يليق به، ومرّ عليهم يوم بُعد
عهدهم به من متعة، ونعيم، وشراب، وغناء، وترنيم، وهكذا نرى الوزير
الغرناطي ابن سعيد يحمي الشاعرة مرتين، ويشتري عرضها بالإحسان
إلى ما أساءت إليهم.

لأن الوزير على ما يبدو كان على صلة وطيدة بها، وأنه كان يهواها،
ومغرمًا بشعرها، وله معها مراسلات معروفة، ومداعبات مشهورة، كتب
إليها مرة :

يا من له ألف خل من عاشق وصديق
أراك خلّيت للناس س منزلا في الطريق

فأجابته مطمئنة إياه، ومؤكدة له بأنه الحبيب المفضل، واستعملت
التورية، بأن أهل السنة والجماعة يقدمون أبا بكر على غيره من الخلفاء،
والصحابه الكرام، فكذلك هي تقدمه على غيره ...

حللت أبا بكر محلا منعت سواك وهل غير الحبيب له صدري
وإن كان لي كم من حبيب فإنما يقدم أهل الحق حبّ أبي بكر

وكانت نزهون معروفة بالفكاهة، والنكتة والسخرية اللادعة، فقد قال لها بعض الثقلاء: ما على من أكل معك خمسمائة سوط؟ يريد أنه يرحب بكل أنواع العذاب ما دام في محبتها ولكن لم يحسن التعبير عن مراده، وخانته لغته، فأجابته في الحال بأسبوب فكاهة الشاعر، ومشاعر الأنثى:

وذي شقوة لما رأياني رأى له تمنيه أن يصلى معي جاحم الضرب

فقلت له كلها هنيئاً فإنما خلقتُ إلى لبس المطارف والشرب

وننهي حديثنا عن نزهون بهذه الأبيات الجميلة التي قالتها تصف إحدى ليالي البيض بغرناطة، وما أكثرها بالأندلس عامة:

لله دُرّ الليالي ما أحسنها وما أحسين منها ليلة الأحد

لو كنتَ حاضرنا فيها وقد غفلت عينُ الرقيب فلم تنظر إلى أحد

أبصرتَ شمسَ الضحى في ساعدي قمرٍ بل ريمَ خازمة في ساعدي أسد

ونلاحظ أن معاني هذه المقطوعة تتفق مع مقطوعة أبي الحسن علي بن الرقاق ابن أخت ابن خفاجة (490 - 530) حيث تقول:

ومرتجة الأرداف أمّا قوامها فلذّن وأما ردفها فرداح (69)

ألّمت فبات الليلُ من قصرِ بها يطير، ولا غيرُ السرور جناح

فبتُ وقد زارتُ بأنعم ليلة يعانقني حتى الصباح صباحُ

على عاتقي من ساعديها حمائلُ وفي خصرها من ساعدي وشاح (70)

العلياء البنسية :

أديبة شاعرة من أهل القرن السادس الهجري، كانت مملوكة لرجل معروف بابن صاحب بلس، ذكرها القاضي ابن أبي جمرة. وقال أخبرني

أبو عبد الرحمن بن طاهر قال : حللتُ المرية عام اثنين وأربعين وخمسمائة، فخاطبتُ منها الحضرة برسالتي المشهورة. وأودعتها بيت شعر مفرداً نظمته في وصف أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي، لم يمكنني غيره وهو:

إمامٌ تناهت فيه كل فضيلة

فأصبح منها النوع يفخر بالشخص

فوفقت العلياء عليه فأضافت إليه:

تعظم حتى جلّ عن وصف واصفٍ

وأبدي لنا ما في الأنام من النقص

فطرتُ بها فرحاً، وعجزت عن ابتياعها، إذ كانت قد بلغت ألف دينار مروية، فرغب إليّ سيدها في أن يعتقها، وأتزوجها، فهمت بذلك، فمنعني أبوأي (72).

الشريفة أمة العزيز: (73)

هذه الشاعرة يذكرها الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه «المطرب من أشعار أهل المغرب» حيث يقول: أنشدتني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز ابنة عبد العزيز بن الحسن... لنفسها:

لحاظكم تجرحنا في الحشا

ولحظنا يجرحكم في الخدود

جُرْحُ بِجُرْحٍ فَاجْعَلُوا ذَا بَذَا

فما الذي أوجب جرح الصدوذ؟

ويروى البيت الأول هكذا:

لحاظنا تجر حكم في الحشا

ولحظكم يجرحنا في الحدود

وهذا أنسب لأن الذي يحمر وجهه حياء وخجلا أكثر، هو النساء لا الرجال. ونرى المقري يعلق عل البيتين بقوله، هذا سؤال يحتاج إلى جواب، وقد رأيت القاضي الإمام الفاضل العقباني التلمساني يجيب على ذلك بقوله:

أوجبه مني يا سيدي جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع فأين ماقلت وأين الشهود؟

الشلبية: (74)

وفي هذا القرن السادس الهجري، نجد شاعرات يرفعن أصواتهن في وجه الظلم والظالمين، ومنهن هذه الشاعرة التي يوردها ابن الأبار، ويذكر أنه لم يعثر على اسمها. وإنما عرف أنها من مدينة شلب، بغرب الأندلس، التابعة للبرتغال اليوم فسمّاها الشلبية، نسبة إلى مدينتها، ويقول: إنه وجد لها شعرا تشكو فيه ظلم الحكام، وجور ولاة بلدها، وصاحب خراجها، وتكلف من يُلقى بالصحيفة التي كتبت فيها شعرها، في الطريق عند خروج السلطان الموحيدي، يعقوب المنصور، إلى أداء

صلاة الجمعة، فتتجج الحيلة، وتقع عين السلطان على الصحيفة الملقاة على الأرض، فيرفعها ويقرأ ما فيها، ثم يبحث عن القضية، ويجري تحقيقا في الأمر، ويرفع الظلم على الشاعرة الشاكية، بل ويجيزها ويصلها ويعاقب المعتدي ويجعله عبرة لمن يعتبر.

والأبيات التي كتبتها الشاعرة في الصحيفة هي:

قد آن أن تبكي العيون الأبية	ولقد أرى أن الحجارة باكية
يا قاصد المصر الذي يرجى به	إن قدّر الرحمن رفع كراهية
ناد الأمير إذا وقفت ببابه	يا راعيا إن الرعية فانية
أرسلتها هملا ولا مرعى لها	وتركتها نهب السباع العادية
شلبُ كلا شلب وكانت جنة	فأعادها الطاغون نارا حامية
خانوا وماخافوا عقوبة ربهم	والله لا تخفى عليه خافية

ومن هذا النمط نجد شاعرة إشبيلية، تشكو الطغاة، وترجو رفع ما وقع لأموالها من مصادرة واعتقال هذه الشاعرة هي :

أسماء العامرية: (75)

كتبت هذه الشاعرة رسالة طويلة تشرح فيها ما آل إليه أمرها، وأمر غيرها من الشعب بسبب جور وعدوان الحكام والولاة، وفي آخر الرسالة قصيدة في نفس الموضوع. والرسالة موجهة إلى السلطان الموحيدي، عبد المؤمن بن علي أول خليفة للموحدين: جاء في القصيدة مايلي:

عرفنا النصر والفتح المبينا لسيدنا أمير المؤمنيننا

إذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فينا شجوناً
 رويتم علمه فعلمتموه وصنتم عهده فغداً مصوناً (76)

وشكوى النساء، ورفع ظلاً متهم لذي الأحكام معروف، في الأندلس،
 كما أن اطلاعهن على الأحكام الشرعية، وذكاءهن في القضاء مشهور،
 فهذه امرأة قاضي لوشة (77) فاقت العلماء في معرفة الأحكام، والنوازل،
 وكانت تجلس وراء الستار، وتسمع المتخاصمين، فإذا أشكل الأمر على
 القاضي الزوج، خرج من المجلس إليها يستشيرها، ويستنير برأيها، فكانت
 هي القاضية عملياً، وكان زوجها القاضي ظاهراً. فكتب إليه بعض
 الأصحاب مداعباً:

بلوشة قاض له زوجة وأحكامها في السورى ماضية
 فيا ليت له لم يكن قاضياً وباليها كانت القاضية
 فلما قرأ القاضي البيتين سلمهما لزوجته فقالت ناولني القلم فكتبت
 بديهية:

هو شيخ سوء مزدري له شيوخ عاصية
 كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية
 ويقول المقرئ معلقاً على هذه الطرفة: إنه سمع بعض أشياخه يحكي
 القضية عن لسان الدين بن الخطيب، وأنه هو الذي كتب يداعب زوج
 المرأة، فكتبت إليه:

إن الامام ابن الخطيب له شيوخ عاصية
 كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (78)

قسمونة اليهودية: (79)

في الأندلس الإسلامية كانت تعيش إلى جانب المساجد والجوامع، كنائس وبيع، الكل ينعم بالحرية الدينية والفكرية، والجميع يتمتع بالعدالة، والاطمئنان على النفس، والمال، والمعتقد، فالجمال فسيح لكل الأديان، وحرية العقيدة والتفكير يتمتع بها الجميع، والتسامح الإسلامي يشمل الخاص والعام، ويحفظ لكل السكان - سكان الأندلس - كرامتهم وحقوقهم، من غير تفريق في الدين، أو تمييز في العنصر، أو الجنس، أو اللون.

ولقد كانت غرناطة مكتظة باليهود، حتي سميت غرناطة اليهود، فظهر من بين اليهود كُتّاب وشعراء، واعتلى منهم المناصب العليا في الدولة، حُجّاب ووزراء، منهم هذه الشاعرة المرموقة «قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، من أهل القرن السادس على ما يرى صاحب النزهة.

وكانت شاعرة مشهورة لها شعر رقيق، وموشحات لطيفة، وكان أبوها بدوره شاعرا. وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هي بقسم آخر، وقد اعتنى إسماعيل بابنته فأدّبها وهذّبها. قال لها يوما مختبرا - أجيّزي:

لي صاحب ذو بهجة قد قابلتُ نَعْمى بظلم⁽⁸⁰⁾ واستحلت جُرمها

ففكرت غير كثير وقالت:

كالشمس منها البدر يقبس نُوره أبدا ويكشف بعد ذلك جُرمها

فقام أبوها كالخبتل، فرحا، وقبّل رأسها إكبارا، وضمّها إليه، وهو يقول

إعجابا: أنت والعشر كلمات أشعر مني!

يريد بذلك القسم بالوصايا العشر الموجودة في التوراة، والتي يؤمن بها اليهود، ويقسمون بها.

ونرى قسمونة حزينة باكية، متألمة، مما تقاسيه من الوحدة والفراغ، وانعدام القرين، مع جمال القوام، وزهرة الشباب، فقد نظرت في المرأة فرأت جمالها الفتان، وقسمات وجهها الذي يزداد بهاء وحسنا، كلما زدت فيه إمعانا وإبصارا، فقد بلغت سنّ الزواج ولم تتزوج، فقالت متنهدة متألمة، إذ لم يتقدم إليها من يقطف منها الثمر، ويجني منها الورود والأزهار.

أرى روضةً قد حان منها قطافها ولست أرى جان يد لها يدا
فوا أسفا يمضي الشباب مضيّعا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا
فسمعها أبوها، وانتبه لحالها فنظر في تزويجها، وسعى في تلبية أنوثتها.
وكان لقسمونة طيبة تعيش معها في بيتها، وتؤنسها في وحشتها، وتبث
إليها بشكواها، ومكنون قلبها، فقالت تخاطبها، وتسلي نفسها بها، إذ هي
ليست الوحيدة في وحشتها وانفرادها، وأن ذلك من تصاريف القدر، ولا راد
لقضاء الله وقدره:

يا ظبيةً ترعى بروض دائما إني حكيك في التوحش والخور
أمسى كلانا مفردا عن صاحب فلنصطبر أبدا على حكم القدر
ويروي البيت الأخير السيوطي في كتابه «النزهة» هكذا:
أمسى كلانا مفردا عن صاحب فعتابنا أبدا على حكم القدر
ورواية نفح الطيب أنسب، والصبر في هذا المقام أليق، فلا عتاب على

الله، وعلى المصاب أن يرضى بما قضى الله وقدر، ويقدر الصبر على
البلاء يكون الثواب والجزاء.

أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي: (81)

هذه الأديبة الشاعرة والمقرئة المجيدة من أهل لوشة التابعة لغرناطة،
وصفها ابن الخطيب في إكليله بأنها ثالثة حمدة وولادة، وفاضلة الأدب
والمجادة، تقلدت المحاسن قبل الولادة، وأولدت أبكار الأفكار قبل سن
الولادة. نشأت في حجر أبيها، لا يدخر عنها ولا سهمها، حتى نهض
إدراكها، وظهر في المعرفة حراكها. ودرسها الطب ففهمت أغراضه وعلمت
أسبابه وأعراضه.

ولما قدم أبوها من المغرب، وحدث بخبرها المغرب، توجه بعض
الصدور إلى اختبارها ومطالعة أخبارها، فاستنبل أغراضها واستحسنها،
واستظرف لسنها، وسألها عن الخط وهو أكسد بضاعة جلبت وأشح درة
حلبت، فأنشدته من نظمها:

الخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس
والدرس سؤلي لا أبغي به بدلا بقدر علم الفتى يسمو على الناس
وقالت تمدح شخصا اسمه رضوان، تصفه بوحيد زمانه، فضلا،
ومجدا، ومعدنا طيبا. قلما يوجد الزمان بمثله:

إن قيل من الناس رب فضيلة حاز العلا والمجد منه أصيل
فأقول: رضوان وحيد زمان إن الزمان بمثله لبخيل

حفصة بنت الحاج الركونية: (82)

شاعرة غرناطة في زمانها، كولادة في قرطبة في أوانها، غير أن حفصة الركونية أشعر، ومادتها أغزر، وجراتها في الهجوم على معاني الغزل والإثارة أكثر، فإذا كانت ولادة قد ارتبطت بالوزير الشاعر ابن زيدون، فإن حفصة بدورها ارتبطت بالوزير الشاعر أبي جعفر أحمد بن سعيد وزير عبد المؤمن الموحي.

فإذا كان أبو الوليد ابن زيدون قد اصطدم بمنافس خطير هو الوزير ابن عبدوس، في حبه لولادة، فإن ابن سعيد قد لقي منافسا أشد، هو أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي في حبه لحفصة، فهذا المنافس أقوى سلطة، وأقرب رحما للموحيين، إذ هو منهم وإليهم، ولذلك كانت نهاية ابن زيدون السجن، ونهاية ابن سعيد الموت والتنكيل.

لقد اتفق كل الذين ترجموا لحفصة بأنها معروفة بالظرف، والأدب والجمال، والحسب والشعر، رقيقة النظم، سريعة البديهة، جيدة الذاكرة، أستاذة ناجحة، فقد تولت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحي، مما سمح لها بالاجتماع مع أمير المؤمنين في داره لعدة مرات، فقد قالت له يوما: مرتجلة:

يا سيد الناس يا من	يؤم الناس رفده
أمنن علي بطرس	يكون للدهر (83) عدة
تخط يمناك فيه	الحمد لله وحده

وأشارت بالشرط الأخير إلى العلامة السلطانية عند الموحيين، فإنها

تكتب بخط غليظ، ويبد السلطان، على رأس مناشير الدولة «الحمد لله وحده».

وكانت حفصة تجمع بين الجمال الطبيعي والجمال الأدبي، وتصرح بذلك بلا التواء ولا استحياء، بل وتفخر وتتباهى:

ثنائي على تلك الثنايا لأنني أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله إنني رشت بهاريقا ألد⁽⁸⁴⁾ من الخمر
وقد تهافت الملوك والأمراء على الاجتماع بها، كما تسابق الوزراء
والشعراء على اكتساب رضاها، والاعتراف بأدبها والحضور في
مجلسها.

كتب إليها أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد الوزير الغرناطي،
يرجو ملاقاتها، فما طلته قرابة شهرين، وكاد ييأس، ثم أعاد الكتابة إليها
من جديد بهذه الأبيات:

يا من أجنب ذكر اسمه	مه وحسبي علامه
ما إن أرى الوعد يقضى	والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن	تكون لي في القيامة
لو قد بصرت بحالي	والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقاً ووجداً ⁽⁸⁵⁾	إذ تستريح الحمامة
صَبَّ أطال هـواه	على الحبيب غرامه
إن لم تنيلني أريحني	فاليأس يثني زمانه

فأجابته في الحال على نفس الروية والوزن:

يا مدعي في هوى الحسد	ن والغرام الإمامه
أتى قريضك لكن	لم أرض منه نظامه
أمدعي الحب يثني	يأسُ الحبيب زمامه؟
ضللت كل ضلال	ولم تُفدك الزعامه
ما زلت تصحب مذكـ	ت في باق السلامه
حتى عثرت وأخجلـ	ت بافتضاح السأمة
بالله في كل وقت	يُبدى السحاب انسجامه
والزهري في كل حين	يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذري	كففت غُرب الملامه

ووجهت إليه الأبيات مع الرسول الذي حمل إليها الرسالة، بعدما لعنته بلسانها وسبته بكلابها، قائلة له: لعن الله المرسل، فما في جميعكما خير، ولا لي برؤيتكما حاجة، وانصرف الرسول على غاية من الخزي والبخس، ولما أطل على أبي جعفر، وهو على أحر من الجمر، لانتظار الجواب، قال له: ما وراء ياعصام؟ قال: ما يكون وراء من وجهه خلف إلى فاعلة، تاركة، اقرأ الأبيات تعلم الجواب، فلما قرأ أبو جعفر المقطوعة، طار فرحاً، وقال للرسول: ما أسخف عقلك وأجهلك إنها وعدتني للقبّة التي في جنتي المعروفة بالكمامة، سر بنا فبادرا إلى المكان المعين، فما لبثا إلا قليلاً، حتى أقبلت، وأراد عتابها فأنشدت:

دعي عدّ الذنوب إذا التقينا تعالى لا نُعدّ ولا تُعدي

وجلسا على أحسن حالة، وبينما هما في الحوار والمداعبة، إذا بأبيات الشاعر الكندي تصل إلى يد أبي جعفر، وفيها:

أبا جعفر يا ابن الكرام الأماجد	خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك في خلّ قنوع مهذب	كتوم عليم باختفاء المراسد
بييت إذا يخلو المحب بحبه	ممتّع لذاتٍ بخمس ولائد

فلما قرأ أبو جعفر المقطوعة، عرضها على حفصة، فقالت: لعنه الله، سمعنا بالوارش على الطعام، والواغل على الشراب، ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين، فيروم الدخول عليهما، فقال بالله سميّه لنكتب له بذلك، فقالت أسميه الحائل، لأنه يحول بيني وبينك، إن وقعت عيني عليه، فكتب له في ظهر رقعة:

يا من إذا ما أتاني	وضعته (86) نصب عيني
تراك ترضى جلوسا	بين الحبيب وبينني؟
إن كان ذاك فماذا	تبغي سوى قُرب حَيّني
والآن قد حصلت لي	بعد المطال بديني
فإن أتيت فدفعنا	منها بكلتا اليدين
أو ليس تبغي وحاشا	ك أن تُرى طَيْرَ بَيْنِ
وفي مبيتك بالخـم	س كل قبح وشين
فليس حقك إلا الـ	خلّو بالقمرين

وكتب له ماقالته حفصة على ذلك بقوله:

سماك من أهواه حائل	إن كنت بعد العتب واصل
مع أن لونك مزعج	لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع إليه الرسول وجده قد سقط في مطمورة نجاسة، ولا يكاد يعرف شخصه، وصار هتكة ومسخرة للناظرين، فلما قرأ الأبيات، قال للرسول: اعلمهما بحالي، فرجع الرسول وأخبرهما بذلك، فكاد يغشى عليهما من الضحك، وكتبا إليه مقطوعة مشتركة بيتا فبيتا، فقال أبو جعفر:

قل للذي خلّصنا	منه الوقوع في الخرا
ارجع كما شاء الخرا	يا ابن الخرا إلى الورا (87)
وإن تعد يوما إلى	وصالنا سوف ترى
يا أسقط الناس ويا	أنذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا	قي لو أتيت في الكرى
يا لحية تشغف في الـ	خرء وتنشا العنبرا
لا قرب الله اجتما	عابك حتى تقبرا

ثم توالى بعد هذا اللقاء لقاءات، فيها أدب غصّ، وغناء وطرب، واتفق أن بات معها أبو جعفر في بستان له بحوز مؤمل، بضواحي غرناطة، على ما يبيت الروض والتسيم، من طيب النفحة، ونضارة النعيم، فلما حان الانفصال، وأذن الظلام بالانقشاع، والارتحال، قال أبو جعفر واصفا تلك الليلة البيضاء:

رعى الله ليلا لم يرُع ⁽⁸⁸⁾ بمذم	عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريحة	إذا نفحت هبت برياً القرنفل
وغرد قُمريّ على الدوح واثنى	قضب من الرياح من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له	عناق وضمّ وارتشاف مُقبّل

فلما قرأت حفصة الأبيات، أجابته بشعر أرق من النسيم:

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا	ولكنه أبدى لنا الغلّ والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا	ولا غرّد القُمري إلا بما (89) وجد
فلا تحسن الظنّ الذي أنت أهله	فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه	لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

حقّ لأبي جعفر أن يعجب بحفصة التي تقول هذا الشعر الرقيق، وتفهم من الطبيعة ما يجعلها تقرأ ألف حساب، لكل ما يدور حولها، وتعلل الأشياء والظواهر الطبيعية بما يليق أن يدركه كل لبيب.

ونراه من شدة الإعجاب بها يقسم أنه ما رأى ولا سمع بمثلها فقال: «ومن بعض ما أجعله دليل على تصديق عزمي وبرّ قسمي: أني كنت يوما في منزلي مع من يحب أن يخلى معه من الأجواد الكرام على راحة، سمحت بها غفلات الأيام، فلم نشعر إلا بالباب يضرب، فخرجت جارية تنظر من الضارب، فوجدت امرأة فقالت لها: ما تريدان؟

فقالت: ادفعي لسيدك هذه الرقعة، فجاءت برقعة فيها:

زائر قد أتى يجيد الغزال	مطلع تحت جُنحه للهِلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت	ورُضاب يفوق بنت الدّوالي
يفضع الورد ما حوى منه خد	وكذا الثغر فاضح للآلي
ما ترى في دخوله بعد إذن	أو تراه لعارض في انفصال

قال أبو جعفر، فلما علمت أنها حفصة، قمتُ مبادراً للباب، وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وأدابه، والغرام به، وتفضّله بالزيارة دون طلب، في وقت الرغبة إلى الأنس به.

ويذكر ابن الخطيب أن حفصة مرت على باب أبي جعفر مستترة،
وأعطت البواب بطاقة مكتوب فيها:

زائر قد أتى يجيد غزال طامع من محبه بالوصال
أتراكم بإذنكم مسعفيه أم لكم شاغل من الأشغال
فلما وصلت الرقعة إلى أبي جعفر قال ورب الكعبة من صاحب هذه
الرقعة إلا الرقعة (90) حفصة، ثم طلبت فلم توجد، فكتب إليها أبو جعفر
راغباً في الوصال.

أي شغل عن الحبيب يعوق يا صباحا قد أن منه الشروق
صل وواصل فأنت أشهى إلينا من لذيد المنى، فكم ذا نشوق
لا وحبيك (91) لا يطيب صبح غبت منه ولا يطيب غبوق
لا ودلّ الهوى وعزّ التلاقي واجتماع إليه عزّ الطريق
ونرى هذه الزيارات تتوالى وتكرر، مرة من الشاعرة، وأخرى من
الوزير، حتى إذا طال البعاد، واشتد الحنين إلى التلاقي، كتبت إليه:

أزورك أم تزور فإن قلبي إلى ما تشتهي أبدا يميل
فثغري موردٌ عذبٌ زلال وفرعٌ دؤابي ظلٌ ظليل
وقد أملت أن نظما وتضحى إذا وفى إليك بي المثل
فعجلّ بالجواب فما جميل إياؤك عن بثنة يا جميل
فأجابها أبو جعفر:

أجلّكم ما دام بي نهضة عن أن تزوروا إن وجدت السبيل
ما الروض زوّاراً ولكنما يزوره هبّ النسيم العليل

وقال معللاً بأن الروض يزار ولا يزور، ويأتيها النسيم العليل، لا تأتي
الرياض النسيم.

زارها مَنْ غَدَا سقيم هواها ويراه شوقاً إليها النحول
وكذا الروض لا يزور ويأتي أبدا نحوه النسيم العليل
وتذكرني هذه المحاور الأدبية الجميلة الموحية، بأبيات للشاعرة
البغدادية سلمى بنت القراطيسي المشهورة بالجمال الفتان، مع العفة
والتصون.

عيون مها الصريم فداء عيني وأجياذ الضباء فداء جيدي
أزين بالعقود وإن نحري لأزين للعقود من العقود
ولو جاورت في بلد ثمود لما نزل العذاب على ثمود
ولأشكو من الأرداف ثقلاً وتشكو قامتي ثقل النهود
ويقال إن الخليفة العباسي المقتفي، لما بلغته هذه المقطوعة الرائعة،
سحره بيانها وقال لجلسائه: اسألوا عن عفافها وطهرها، فقالوا له: هي
أعف الناس، فأرسل الخليفة إليها مالا جزيلا، وعطاء عظيما، وقال:
تستعين به على صيانة جمالها، ورونق بهجتها، وكمال أدبها، والاستمرار
على كرامتها وعفتها.

ونرى حفصة تبعث بشعرها إلى الحبيب إذا لم تستطع أن تكون هي
الزائرة، فهي مثل الروضة تبعث إلى النفوس بروائحها المنعشة.

سار شعري لك غني زائرا فأعر سمع المعالي شنفه
وكذا الروض إذا لم يستطع زورة أرسل عنه عُرفه

ويجيئها:

قد أتانا منك شعر مثلما أطلع الأفق لنا أنجمه
وفم فاه به قد أقسمتُ شفتي بالله أن تلثمه

- حفصة الغيرة:

ونرى الشاعرة تغار من كل أنثى تقترب من الوزير، فهي لا تريد أن
يشاركها فيه أحد، فقد بلغها أن أبا جعفر قد علق بجارية سوداء، وصلت
إليه من بعض القصور، فاعتكف معها أياما وليالي بظاهر غرناطة، في ظل
مدود، وطيب هوى مقصود، وماء زلال مسكوب، فكتبت إليه تعاتبه:

يا أظرف الناس قبل حالٍ أوقعه نحوه القدر
عشت سوداء مثل ليلٍ بدائع الحسن قد ستر
لا يظهر البشر في دجاها كلا، ولا يبصر الخفر
بالله قل لي وأنت أدرى بكل من هام في الصور
من الذي هام في جنان لا نوارٍ فيه ولا زهر؟

فأجابها بأظرف اعتذار وألطف أنوار:

لاحكم إلا لأمرٍ ناه له من ذنبه معتذر
له محيا به حياتي أعيد مداه بالسور
كصحبة الغيد في ابتهاج وطلعة الشمس والقمر
سعده لم أمل إليه إلا أطرافاً له خبر
عدم صبحي فاسود عش قي وانعكس الفكر والنظر
إن لم تلح يا نعيم رُو حي فكيف لا تفسد الفكر

والشاعرة صادقة في حبها للوزير ابن سعيد غير متكلفة فيما تقول فيه من شعر، فهي تراه أهلاً لحبها، والإعجاب به، لترفعه عن الدنيا وعلو همته، واكتمال أدبه.

رأست فما زال العداة بظلمهم وعلمهم النامي يقولون ما رأس
وهل منكر أن ساد أهل زمانه جموح إلى العليا حرون عن الدنس
حقاً إن ابن سعيد يستحق عن جدارة أن يتبوأ المرتبة العليا في الوزارة
والأدب، يقول فيه صاحب «المغرب في حلى المغرب» أبو جعفر، لا أعلم
في بني سعيد أشعر منه، بل لا أعلم في بلده من هو في درجته، وعشق
حفصة، شاعرة الأندلس، وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام.

وكانت حفصة الشاعرة الفاتنة بجمالها وأدبها، السبب في نعيم الوزير،
ثم في سجنه وتعذيبه واغتياله. فقد كان عثمان بن عبد المؤمن الموحدى
ملك غرناطة، قد ولّاه وزارته لعلمه، وأدبه، وكان الموحدى يهوى حفصة،
ويحرص على الاختصاص بها، وكان أسود اللون، فبلغه أن أبا جعفر قال
لها: ما تحبين في ذلك الأسود، وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد
بعشرين دينارا خيرا منه؟ فأسرّها الموحدى في نفسه، فعزله أسوء عزل،
ثم قتله صبيرا بمدينة مالقة (92).

ولما بلغ الشاعرة خبر مقتل الوزير أبى جعفر حزنت عليه، ولبست
الحداد من أجله، وجهرت بذلك فتّوعدت بالقتل فقالت:

هدّوني من أجل لبس الحداد لحبيب أردوه لى بالحداد
رحم الله من يجود بدمع أو ينوح على قتيل الأعادي
وسقته بمثل جود يديه حيث أضحى من البلاد الغوادي (93)

وفعلا لم ينتفع بها ملك غرناطة، إذ لحقت بالوزير المقتول بعد قليل، وذلك في أواخر عام 581 بمراكش. فقد اشتد حزنها على الوزير، واشتهر عنها ذلك، ورثته بشعر فيه الصدق والوفاء، والحب والصفاء.

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلامٌ على تلك المحاسن من شج تناءت بنعماء وطيب سروره
وقالت:

سلوا البرق الخفاق والليل ساكن أظلُّ بأحبابي يذكّرني وهنا
لعمري لقد أهدى لقلبي خفقه وأمطرنِي (94) منهلّ عارضه الجفنا
وقالت:

سلامٌ يفتح من زهره الـ حكام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا وإن كانت تُحرمُ منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسيكم فذلك والله ما لا يكون
ولحفصة علاقة مودة وصداقة بشقيقة الوزير أبي بكر بن يحيى الهمداني، من أعيان غرناطة، سألتها مرة أن تكتب لها شيئا بخطها. فأخذت قلما وكتبت:

ياربة الحسن بل ياربة الكرم غصني جفونك عما خطّه قلبي
تصفحيه بلحظ الود منعمة لا تحفلي برديء الخط والكلم
كما أن علاقتها مع العائلة المالكة وطيدة، فيها الاحترام والتقدير، وكيف لا تكون كذلك، وهي أستاذة لبنات العائلة، والموجهة لأمهات الأمراء والحكام، فالكل يعرفها، ويدرك مكانة علمها، وأدبها، وهي تختار

المناسبات والأعياد لتقدم تهانيها. فقد كتبت إلى ابن سعيد الموحي
تُهْنئة بحلول العيد السعيد:

يا ذا العلا وابن الخليفة والإمام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى فيه بما تهوى القضا
وأناك من تهواه في قيد الإنابة والرضى (95)
ليعيد من لذاته ما قد تصرف وانقضى

ونختم الحديث عن حفصة الركونية الشاعرة الغزلية الوفية، الصادقة
العاطفة، الغزيرة الإنتاج، بهذين البيتين اللذين يعبران أحسن تعبير عن
الجرأة والغيرة والحب الصادق:

أغار عليك من عيني رقيبى ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى وضعتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

تلك هي الشاعرة الغرناطية، العالمة الأدبية، كما يصورها لنا ما وصل إلينا
من شعرها، وأخبارها. ويها نهى الحديث عن شاعرات من الأندلس الحبيبة،
وأرجو أن يكون القارئ قد عاش لحظات ممتعة من خلال تلك الشاعرات
الخالديات. وقبل الختام نذكر شاعرة مغرمة برسول الله ﷺ وهي:

أم السعد بنت عصام الحميري: (96)

من النساء المشهورات بالأندلس، أم السعد بنت عصام الحميري،
وتعرف بسعدونة القرطبية، لها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما في القرن
اسابع الهجري وأواخر القرن السادس، كانت تعيش بقرطبة، ثم انتقلت
إلى مالقة. حيث توفيت سنة أربعين وستمئة (640 هـ) أو نحوها.

أنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم تكملة
لقول غيرها. (97) .

سألتم التمثال إذ لم أجد	للثم نعل المصطفى من سبيل
لعلني أحظى بتقبيله	في جنة الفردوس أسنى مقيل
في ظل طوبي ساكنا آمنا	أسقى بأكواس من سلسبيل
وأمسح القلب به عله	يسكن ماجاش به من غليل
فطالما أستشفى بأطلال من	يهواه أهل الحب في كل جيل

قال المقرئ في نفحه: وأنشدني ابن جابر الوادي أشي عن شيخه
المحدث أبي محمد ابن هارون القرطبي لجدته سعدونة، وأظنها هذه:

آخ الرجال من الأبا	عد والأقارب لا تقارب
إن الأقارب كالعقا	رب أو أشد من العقارب (98)

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق، قال المقرئ: رأيت نسبة البيتين لابن
العميد.

عدت إلى اليتيمة لأبي منصور الثعالبي، فوجدت ما قاله المقرئ
صحيحاً. (99) ونحن نعلم بأن ابن العميد محمد الحسين أبا الفضل قد
عاش في القرن الرابع (ت: 360 هـ - 970 م)، وسعدونة القرطبية جاءت
بعده بقرنين وزيادة، إذ توفيت في أواخر النصف الأول من القرن السابع
الهجري، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي
النسابوري، قد توفي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة (429 هـ)، وبناء
على ماتقدم فالإنصاف في هذا المجال واجب، والتعصب للبلد أو

الشخص لا يرضيه البحث العلمي ولا يقره العقل السليم والفكر المستقيم.

الجزائر في 21 محرم 1422 هـ - 15 أبريل 2001

- الدكتور محمد الشريف بن محمد الطيب قاهر

الهوامش :

- (1) - انظر الحديث عنها في :
 - أ - الأغاني م. 21 - ق 3 ص 132-231. (1 - 21) واحد وعشرون مجلدا لأبي الفرج الإصبهاني علي بن الحسين (ت : 969هـ - 356 م) منشورات دار مكتبة الحياة دار الفكر - بيروت.
 - ب - نفح الطيب للمقري : تحقيق : د/ إحسان عباس. 3 : 141 - 142 ترجمة : 77.
 - ج - نفح الطيب . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. 4 : 137 - 139 .
- (2) في الأغاني : فرج : بدل تفريج
- (3) هذا البيت ساقط في النفح وارد في الأغاني .
- (4) الأبيات لأبي صخر الهذلي، واسمه عبد الله بن مسلمة السهمي، من بني هذيل بن مدركة، من شعراء الدولة الأموية، كان مواليا لبني مروان متعصبا لهم، مدح عبد الملك بن مروان وأخاه عبد العزيز، وعبد العزيز بن خالد بن أسيد، حبسه عبد الله بن الزبير سنة ثم أطلقه بشفاعة رجال من قريش.
- انظر : أ - الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني، م 21 - ق 3، ص 221 - 222.
- ب - الأعلام لخبر الدين الزركلي، 4 : 223 - 224.
- (5) - أنظر ترجمتها : أ - نفح الطيب للمقري، تحقيق : د/ إحسان عباس، ج 4، ص / 167 - 168 ترجمة : 2.
- ب - أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 1 : 256 - 157 .
- ج - الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة، 121 - 126 .
- (6) - شحط المكان يشحط بفتح الحاء : بعد.
- (7) - الفرصاد : اسم يطلق على صيغ أحمر، والمراد هنا دم الأعداد.
- (8) - جود الشيء : أحاده، يقال تجاودوا في المحاورة أي نظروا أيهم أجود حجة.

(9) - أنظر الحديث عنها في :

- أ - نفح الطيب للمقري: 3: 140 - 141 - ترجمة: 76 تحقيق: د / إحسان عباس
 ب - نفح الطيب للمقري: 4: 137 تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
 ج - الأدب الأندلسي. موضوعاته وفنونه، ص 130 - 132 للدكتور: مصطفى الشكعة.

(10) - ترجمتها في :

أ - جذة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس 412 - 413 ترجمة: 986.

ب - بغية الملتبس، للضبي: 443 - 445 ترجمة: 1587 .

ج - كتاب الصلة لابن بشكوال: 2 / 694 - 695 ترجمة: 1537 .

د - نفح الطيب للمقري: تحقيق د / إحسان عباس؛ 4 / 29 ترجمة: 18 .

هـ - نفح الطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: 6 / 27.

و - نزهة الجلساء في شعر النساء، لجلال الدين السيوطي، 90 - 92 .

ز - أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 5 / 47 - 48.

ح - الأدب الأندلس مصطفى الشكعة، 167 - 169 .

(11) - في البغية والجذوة، والصلة، يافردة بدل يافذة.

(12) ويروي هذا البيت في الجذوة، والنزهة، والبغية، هكذا: أشبهت في الشعر من غارت بدائعه، عوض أشبهت مروان. ولعل المراد بمرwan الوارد في النفح، هو مروان بن عبد الرحمن الأموي الشهير بالطلق، إذ سجن إثر قتله لأبيه، بسبب جارية كان يهواها فوجدتها عنده والده فهجم عليه وقتله، وكان مروان مقدما في الشعر، كابن المعتز في بني العباس، ملاحه شعر وحسن تشبيهه.

(13) أنظر ترجمتها في :

1 - جذوة المقتبس، في ذكر ولادة الأندلس لأبي عبد الله محمد الحميدي، ص 413 / 3.

ترجمة: 987.

2 - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، لأحمد بن يحيى الضبي ص / 527 ترجمة /

1583. طبعة مجرط 1884.

3 - بغية الملتبس: 443 ترجمة: 1586، دار الكتاب العربي، 1967.

4 - المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد، ج 2، ص / 192. ترجمة: 447.

5 - نفح الطيب للمقري، ج 4، ص / 170. ترجمة: 6 .

(14) في البغية: ستظفن بدل سترحل

(15) في حلى المغرب، ورد هذا البيت هكذا:

فما بعدُ إلا الموتُ عند رحيلهم * * * وإلا فصبّرُ مثل صبر وأحزانُ

(16) في حلى المغرب: فينان بدل ريان

- (17) في حلى المغرب: فياليت بدل ألا ليت.
- (18) - أنظر ترجمتها في:
- 1- جدوة المقتبس للحميدي، ص / 412. ترجمة 985.
 - 2- بغية الملتبس، للضبي، ص: 443 ترجمة: 1586 دار الكتاب العربي 1967.
 - 3- بغية الملتبس ص: 527 ترجمة: 1583. طبعة مجريط. 1884 م.
 - 4- أعلام النساء لعمر رضا كحالة: 340.
- (19) في المغرب لابن سعيد: لثن حالات عن ثغرها.
- (20) - الحديث عنها في:
- أ- نفح الطيب للمقري. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. 2 / 146 - 148.
 - ب- نفح الطيب للمقري. تحقيق: د / إحسان عباس. 1 / 617 - 618.
 - ج- الأعلام للزركلي. 7 / 99 - 100.
- (21) - الزبرقان: البدر.
- (22) - انظر ترجمتها:
- (أ) الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، ج 1، ص 489 - 490.
 - (ب) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، ج 2، ص / 145 - 146 ترجمة: 451.
 - (ج) نفح الطيب للمقري، تحقيق: د / إحسان عباس، 4: 287 - 289 ترجمة: 16.
 - (د) رايات المبرزين وغايات المميزين: 94 - 95 ترجمة: 86 وجعل لها عنوان: «خنساء الأندلس» لابن سعيد الأندلسي (ت: 685 هـ)، تحقيق: الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي، مطابع الأهرام التجارية - القاهرة: 1393 هـ - 1973 م.
 - (هـ) أعلام النساء لعمر رضا كحالة 1: 292 - 293.
 - (و) الأعلام للزركلي 2: 305.
- (23) - نفح الطيب للمقري، 4: 289 تحقيق: د / إحسان عباس.
- (24) - المغرب في حلى المغرب، 2: 146.
- (25) في أعلام النساء: ورد عجز هذا البيت له في الحسن أسرار بوادي. وكذا في رايات المبرزين لابن سعيد.
- (26) في نفح الطيب: لهالبي بدل سبت لبي.
- (27) انظر نفح الطيب للمقري، ج 2، ص / 404. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - دار الكتاب العربي ببيروت - لبنان.
- (28) في رايات المبرزين: من ناظريك.
- (29) في المغرب في حلى المغرب: والماء بدل السيل.

- (30) انظر نفح الطيب للمقري، تحقيق : د / إحسان عباس ، 4 : 288 - 289 .
- (31) انظر كتاب صلة الصلة ، 5 (309 - 310)، لأبي جعفر بن إبراهيم بن الزبير (ت : 708 هـ)، تحقيق : الدكتور عبد السلام الهراس - الشيخ سعيد أعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية : 1416 هـ 1995 م .
- (32) ترجم لولادة عدد كبير من المؤرخين والأدباء منهم :
- أ - المقري - نفح الطيب تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ج 6، ص / 536 ونفح الطيب ، تحقيق : د / إحسان عباس ، 4 : 205 - 211 ترجمة : 9 .
- ب - ابن دحية ، «المطرب من أشعار أهل المغرب» ص / 7 : تحقيق : الدكتور مصطفى عوض الكريم ، الخرطوم 1954 .
- ج - ابن بسلام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1 / 429 - 432 .
- د - الفتح بن خافان ، قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، ص / 82 - 91 . تقديم : محمد العناني نشر المكتبة العتيقة تونس 1966 .
- هـ - ابن سعيد - المغرب في حلى المغرب ، 1 . 65 . 66 . 143 - 180 .
- و - ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، 2 / 696 ترجمة : 1540 .
- ز - الأعلام للزركلي ، 9 : 135 - 136 .
- (33) ابن دحية الكلبي : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص / 7 - 10 .
- (34) المقري ، نفح الطيب ، 4 / 205 .
- (35) في نفح الطيب ورد هذا البيت :
- وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر
- (36) ديوان ابن زيدون ورسائله : 777 - 779 . شرح وتحقيق : علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، القاهرة 1957 .
- (37) - ديوان ابن زيدون ورسائله : 120 .
- (38) ديوان ابن زيدون : 175 .
- (39) - ديوان ابن زيدون ورسائله : 780 - 781 .
- (40) - ديوان ابن زيدون ورسائله : 174 .
- (41) - ذو الرمة هو غيلان بن عقبة، كنيته أبو الحارث، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو ابن العلاء: فُتِحَ الشعرُ بامرئ القيس وختم بذي الرمة، كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، توفي بإصبهان عام 117 هـ . له ديوان شعر ضخيم مطبوع .
- انظر الأعلام للزركلي . 5 : 191 - 120 .
- (42) - ديوان ابن زيدون ورسائله ص 782 - 783 .

- (43) نفع الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، 4 / 205 - 206 .
- (44) - انظر القصيدة في ديوان ابن زيدون ورسائله، ص 582 - 589 .
- (45) انظر: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص : 12. الخليل بن أبيك الصفدي (ت: 764). تحقيق محمد أبو الفصل ابراهيم - دار الفكر العربي. 389 / 1969 م . مطبعة المدني - القاهرة . .
- (46) - نفع الطيب، 4: 206 - 208 . والمراد بالحسن هو والد بُوران الحسن بن سهل الذي زوج ابنته الخليفة العباسي المأمون.
- (47) كتاب الصلة، 2: 696 رقم: 1540، لابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 2578 - 1183 م). تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم الدار المصرية للتأليف والترجمة. 1966. مطابع سجل العرب بالقاهرة.
- (48) قلاند العقيان في محاسن الأعيان، لابن خاقان، ص / 82 .
- (49) بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس: ص : 547 رقم 1598 لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت: 5911). دار الكتاب العربي، مطابع سجل العرب بالقاهرة: 1967 .
- (50) نفع الطيب للمقري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، جـ 5، ص / 336 .
- (51) - ترجمتها في : (1) - أ- نفع الطيب المقري، تحقيق: د / إحسان عباس 4 : 293-295 ترجمة : 21 ب - نفع الطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، جـ 6، ص / 28 .
- (2) المغرب في حلى المغرب لابن سعد المغربي، 1 : 143 ترجمة : 73 .
- (3) أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 5: 119 .
- (4) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، للدكتور مصطفى شكعة ص : 213 - 214 .
- (52) نفع الطيب، 4 / 272 / 274 .
- (53) الأعلام للزركلي، 1 / 337 / 338 .
- (54) ترجمتها في :
- أ - نفع الطيب، تحقيق : محمد محي الدين، 6 / 20 .
- ب - نفع الطيب، تحقيق: الدكتور حسان عباس، 4 / 284 - 285، ترجمة : 12 .
- جـ - أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 1 / 118 - 119 .
- د - الأدب الأندلسي، للدكتور مصطفى الشكعة، 169 - 172 .
- (55) في النفع وأعلام النساء: في إعجاله
- (56) أنظر:
- أ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، علمائها وأمرائها وذوي النباهة فيها من دخل إليها أو خرج عنها لأحمد بن يحيى أحمد بن عميرة الضبي (ت: 599 هـ - 1203 م) ص 529 ترجمة: 1586.

- طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة 1884 م .
- ب - بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس ص / 545 ترجمة: 1589 للضببي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة دار الكتاب العربي 1967. مطابع سجل العرب. القاهرة .
- (57) - ترجمتها في :
- أ - نفح الطيب. تحقيق: د / حسان عباس، 4 / 283 ترجمة : 11 .
- ب - نفح الطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحكيد، 6 / 19 .
- ج - أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 3 / 227 .
- (58) - ترجمتها في :
- أ - نفح الطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 5 / 302 .
- ب - نفح الطيب، تحقيق: د / إحسان عباس، 4 / 170 ترجمة : 5 .
- ج - المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المغربي : 2 / 202 - 203 ترجمة: 487 .
- د - أعلام النساء، لعمر رضا كحالة: 4 / 238 .
- هـ - الأدب الأندلسي، للدكتور مصطفى الشكعة: 147 / 149
- (59) - ترجمتها في :
- أ - المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المغربي، ج 2، ص 38 / ترجمة: 358 .
- ب - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب للمقري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 5 ص / 301 .
- ج - نفح الطيب للمقري، تحقيق د / إحسان عباس، 4 / 169 ترجمة : 3 .
- د - أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 3 / 327 - 328 .
- هـ - الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة، 172 - 177 .
- (60) - في النفح: منكم بدل عنكم .
- (61) في المغرب: يُحلى .
- (62) في المغرب: تعكف .
- (63) - ترجمتها في :
- أ - نفح الطيب للمقري، تحقيق: د / إحسان عباس، ج 4، ص / 286. ترجمة: 14 .
- ب - أعلام النساء لعمر رضا كحالة: 2 / 114 .
- ج - الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة، / 145 .
- (64) - أنظر الحديث عنها في :
- أ - نفح الطيب للمقري، تحقيق: د / إحسان عباس، ج 4، ص / 286 ترجمة: 15 .
- ب - نفح الطيب للمقري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، 5 / 22 .

جـ - الأدب الأندلسي، للدكتور مصطفى الشكعة، / 146 .

(65) ترجمتها في :

أ - المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، 2 / 121 . ترجمة : 438 .

ب - رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد : 91 - 92 . ترجمة : 82 .

جـ - بغية الملتبس، للضبي ، / 546 . ترجمة : 1591 .

د - الإحاطة في أخبار غرناطة ، لابن الخطيب ، 424 - 427 .

هـ - نفح الطيب للمقري ، تحقيق : د / إحسان عباس ، 4 / 295 . ترجمة : 24 .

و - أعلام النساء لرضا كحالة . 5 / 167 - 170 .

(66) يروي الشطر الثاني من هذا البيت هكذا : وتحت الثياب العار لو كان باديا وهو مأخوذ من ذي الرمة حيث تقول :

على وجه مي مسحة من ملامحة
وتحت الثياب العار لو كان باديا
كما أخذ البيت الثاني من قول المتنبي في مدح كافور الأخشيدى :

قواصد كافور توارك غيره
ومن قصد البحر انتقل السواقيا
(67) في نفح الطيب : لعمرى بدل لعنت .

(68) نفح الطيب ، تحقيق : د / إحسان عباس ، 1 : 190 - 193 .

(69) الردف : العجز ، ومؤخر كل شيء ، والرداح : يقال امرأة فخمة الردف ، سميئة الأوراك .

(70) انظر الأبيات في نفح الطيب ، تحقيق : د / إحسان عباس ، 4 : 298 .

(71) - أنظر الحديث عنها في :

أ - نفح الطيب للمقري ، تحقيق : د / إحسان عباس ، ج 4 ، ص / 293 . ترجمة : 22 .

ب - نفح الطيب ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، 29 : 5 .

(72) كتاب صلة الصلة ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت : 708 هـ) ، 5 / 311 ،
ترجمة : 624 .

(73) ترجمتها في :

أ - المطرب من أشعار أهل المغرب ، لابن دحية الكلبي ، ص / 6 .

ب - نزهة الجلساء في أشعار النساء لجلال الدين السيوطي ، ص / 24 .

جـ - نفح الطيب للمقري ، ج 5 ، ص / 302 . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

د - نفح الطيب للمقري ، تحقيق : د / إحسان عباس ، 4 / 169 - 170 . ترجمة : 4 .

هـ - أعلام النساء لعمر رضا كحالة ، 1 : 86 - 78 .

(74) - : انظر الحديث عنها في :

أ - نفح الطيب للمقري ، تحقيق : د / إحسان عباس ، ج 4 ، ص / 294 .

- ب - نفع الطيب للمقري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ج 6، 29-30 .
ج - أعلام النساء لعمر رضا كحالة، 2/ 303 .

(75) ترجمتها في :

- أ - فح الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، 4/ 292 ترجمة: 19 .
ب - نفع الطيب للمقري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 6، ص 28 / .
(76) انظر الأبيات في أعلام للنساء لعمر رضا كحالة، ج 1، ص 56 .
(77) مدينة مشهورة برجالها في العهد الإسلامي، تبعد عن غرناطة بـ 55 كلمترا، وهي مسقط رأس ابن الخطيب. قال صفي الدين عبد المؤمن البغدادي: لوشة، بالفتح، ثم السكون، وستين معجمة : مدينة بالأندلس غربي البيرة قبلي قرطبة على نهر شنجل بنهر غرناطة، بينها وبين غرناطة عشرة فراسخ .
انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3: 1211، لصفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، تحقيق: علي محمد الجاوي دار إحياء الكتب العربية. ط: 1374 هـ - 1955 م - القاهرة . .
(78) اقتباس من سورة العلق، الآية : 15 .

(79) أنظر الحديث عنها في :

- أ - نفع الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس . 3/ 530 . ترجمة: 6 .
ب - نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي، ص 85 .
ج - أعلام النساء، لعمر كحالة، ج 4، ص 207 .
د - الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة: 234 - 235 .
(80) - في نفع الطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: 5/ 73: منعا بظهر، عوض نعى بظلم .
(81) أنظر: الإحاطة في أخبار غرناطة. لابن الخطيب لسان الدين . 1: 430 - 431
(82) - انظر ترجمة حفصة في :

- (أ) الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، ج 1، ص 491-494 .
(ب) المغرب في حلي المغرب، لابن سعيد المغربي، ج 2، ص 138، 139 . ترجمة: 446 .
(ج) رايات المبرزين، لابن سعيد، ص : 92 - 96 .
(د) نفع الطيب للمقري، تحقيق: د/ إحسان عباس، 4/ 71 - 78 ترجمة 8 .
(هـ) النظرب من أشعار أهل المغرب، لأبي دحية، ص 10 / .
(و) معجم الأدباء، لياقوت الحوي، ص 10، ص 219،
(ز) أعلام النساء لعمر رضا كحالة: 268 / 271 .
(ح) الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة/ 219 - 222
(ط) الأعلام الزركلي، 292 : 2 .

(83) - في المغرب في حلي المغرب: يكون في الدهر بدل يكون الدهر .

- (84) - في النفع: أرق بدل ألد.
- (85) في نفع الطيب تقديم «وجدا» على «شوق» في الشطر الأول من هذا البيت.
- (86) - في نفع الطيب: جعلته بدل وضعته.
- (87) - في نفع الطيب: إلى ورا بدل إلى الورا.
- (88) - في نفع الطيب: لم يرُح بدل لم يرع.
- (89) - في نفع الطيب: إلا لما بدل إلا بما.
- (90) - الرقعة: المرأة الرقيقة الساقين، وذلك من جمال المرأة.
- (91) - الحياء: ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به، وحباً المرأة: مهرها جمع أحبية.
- (92) - مألقة: بفتح اللام، والقاف: مدينة بالأندلس عامرة، من أعمال رية، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية - قيل: هي على ساحل بحر الحجاز بالزقاق.
- انظر: مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3: 1221، لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي.
- (93) - انظر الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، 220: 1.
- (94) - في المغرب من حلي المغرب: وأمطر عن منهل.
- (95) - ورد هذا البيت في المغرب من حلي المغرب هكذا:
- وأفاك من تهواه في طوع الإجابة والرضا
- (96) - ترجمها في:
- أ - نفع الطيب للمقري. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. 5/ 299.
- ب - نفع الطيب للمقري. تحقيق: د/ إحسان عباس. 4/ 166 - 167 ترجمة: 1.
- ج - أعلام النساء لعمر رضا كحالة. 2/ 184.
- (97) إشارة إلى أن البيت الأول ليس من نظمها.
- (98) في يتيمة الدهر: بل أضرب بدل أو أشد.
- (99) أنظر يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. م. 2.
- ج 3 ص/ 183 - 184.

مصادر ومراجع البحث

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة (4-1) أربعة مجلدات

لابن الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين
(ت: 776 هـ - 1374 م). تحقيق: محمد عبد الله عنان.
المجلد الأول - الطبعة الثانية: ت 1393 هـ - 1973 م .
المجلد الثاني - الطبعة الأولى: 1394 هـ - 1974 م .
المجلد الثالث - الطبعة الأولى: 1395 هـ - 1975 م
المجلد الرابع - الطبعة الأولى: 1397 هـ - 1977 م
الشركة المصرية للطباعة والنشر، مكتبة الخانجي - القاهرة .

(2) - الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه

للدكتور مصطفى الشكعة

الطبعة الثانية، دار العلوم للملايين - بيروت - لبنان: 1974 م.

(3) - الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة

للدكتور أحمد هيكمل

الطبعة الثالثة 1967 . دار المعارف - مصر . -

(4) في الأدب الأندلسي

للدكتور جودت الركابي

الطبعة الرابعة - دار المعارف بمصر 1975 .

(5) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام (1-5) خمسة أجزاء.
لعمر رضا كحالة.

الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1397 هـ - 1977 م .

(6) الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب
والمستعمرين والمستشرقين (1-10) عشرة أجزاء وثلاثة مستدركات.
لخير الدين الزركلي (ت: 1976 م) .

الطبعة الثالثة، مطبعة كرساتومس وشركاه، بيروت: 1389 هـ -
1969 م .

(7) - الأغاني (1-21) واحد وعشرون مجلداً.

لأبي الفرج الإصبهاني علي بن الحسين (ت: 356 هـ - 969 م) .
منشورات دار مكتبة الحياة - دار الفكر - بيروت: 1957 م .

(8) - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس

للضبي أحمد بن يحيى بن عميرة (ت: 599 هـ) .
طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة 1884 م .

(9) - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس

للضبي أحمد بن يحيى بن عميرة (ت: 599 هـ)

مطابع سجل العرب، دار الكتاب العربي: 1967 - القاهرة .

(10) - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (1-4) أربعة أجزاء.

لابن عذاري المراكشي أحمد بن محمد (بعد: 712 هـ).

تحقيق الجزء الأول والثاني:

ج - س - كولان و أ - ليفي بروفنسال
والجزء الثالث: أ - ليفي بروفنسال
دار الثقافة - بيروت - لبنان .

والجزء الرابع: كتب التعليقات الدكتور: إحسان عباس
الطبعة الأولى دار الثقافة - بيروت - لبنان - 1967 م

(11) - تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون

لخليل بن أبيك الصفدي (ت: 764 هـ)

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم

مطبعة المدني، دار الفكر العربي: 1389 هـ - 1969 م القاهرة.

(12) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس:

للحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الأزدي (ت: 488 هـ)

مطابع سجل العرب، دار الكتاب العربي، 1967 م بالقاهرة.

(13) - ديوان ابن زيدون ورسائله (ت: 463 هـ - 1070 م)

شرح وتعليق: علي عبد العظيم

مطبعة الرسالة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة: 1957 م القاهرة .

(14) - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (1 - 6) ستة أجزاء.

لابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني (ت: 542 هـ)

تحقيق: الدكتور إحسان عباس

الدار العربية للكتاب. دار صادر بيروت 1975 .

(15) - رايات المبرزين وغايات المميزين

لابن سعيد الأندلسي (ت: 685 هـ - 1286 م)
تحقيق: الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي
مطابع الأهرام المصرية - القاهرة: 1393 هـ - 1973 م .

(16) - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون.

لابن نباتة جمال الدين أبي بكر القرشي المصري (ت: 768 هـ -
1366 م) طبعة دار الفكر العربي - القاهرة -

(17) فوات الوفيات (2-1) جزآن

لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت: 764 هـ)
تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد
مكتبة النهضة المصرية - مطبعة السعادة - مصر 1951 .

(18) قصة الأدب في الأندلس (1-2) قسمان.

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة
منشورات مكتبة المعارف في بيروت 1963.

(19) - قلائد العقيان في محاسن الأعيان

لابن خاقان أبي النصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي
الإشبيلي (ت: 529 هـ)
تقديم: محمد العنابي - دار الكتب الوطنية
المكتبة العتيقة - تونس: 1966.

(20) - كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس.

للشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب (ت حوالي :
420 هـ)

تحقيق: الدكتور: إحسان عباس
دار الثقافة - بيروت - لبنان
مطبعة سميا 1966 .

(21) - كتاب صلة الصلة (53) ثلاثة أقسام

لأبي جعفر بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت :
708 هـ)

تحقيق: الدكتور عبد السلام الهراس - الشيخ سعيد أعراب
طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
المملكة المغربية: 1416 هـ - 1995 م .

(22) - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (3-1) ثلاثة أجزاء.

لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت : 739 هـ)
تحقيق: علي محمد البجاوي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى: الجزء الأول والثاني: 1373 هـ - 1954 م
والجزء الثالث: 1374 هـ - 1955 م .

(23) - كتاب الصلة (21) قسمان

لابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 578 هـ)

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مطابع سجل العرب القاهرة: 1966 .

(24) - المطرب من أشعار أهل المغرب

لابن دحية الكلبي ذي النسيين أبي الخطاب عمر بن حسن (ت: 633 هـ)

تحقيق: الدكتور مصطفى عوض الكريم
الخرطوم 1954 .

(25) معجم البلدان (1-5) خمسة مجلدات :

للحموي أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادى (ت: 626 هـ)

دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.

(26) المغرب في حلى المغرب (1-2) جزآن:

لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري، وعبد الملك بن سعيد،
وآخرين الطبعة الثانية - دار المعارف مصر 1964 .

(27) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب.

(1-10) خمسة مجلدات في كل مجلد جزآن.

للمقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت: / 104 هـ - 1631 م)
تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد

دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1367 هـ - 1949 م .

(28) - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (1-8) ثمانية مجلدات.

للمقري الشيخ أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041 هـ -
1631 م)

تحقيق: الدكتور: إحسان عباس

دار صادر بيروت: 1388 هـ - 1968 م .

(29) - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (1-4) في مجلدين.

للتعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت: 429
هـ - 1038 م).

تحقيق: محمد منحي الدين عبد الحميد .

الطبعة الثانية - مطبعة السعادة: 1975 هـ - 1956 م - القاهرة .